



# أغاني الحياة

ديوان

أبو الفتاح إسماعيل الشاذلي

منشورات دار الكتب الشرقية

لوقنبر



مَكْتَبَةُ  
لِسَانِ الْعَرَبِ

www.lisanarb.com

٤٠٠

al-Shabbī, Abū al-Qāsim

# أغاني الحياة

ديوان شعر أبي القاسم الشابي

مع ثلاثة رسوم بريئة الفنان هانم المكي

Aghāni al-ḥayāh

الطبعة الأولى

ملزوم الطبع والنشر

دار الكتب الشرقية

جميع الحقوق محفوظة

١٩٥٥



دار مصير للطباعة

٣٧ (١١) شارع لاسمدق "البنزلة"

2274  
.8658  
.311  
.1955

مكتبة لسان العرب  
[www.lisanarb.com](http://www.lisanarb.com)

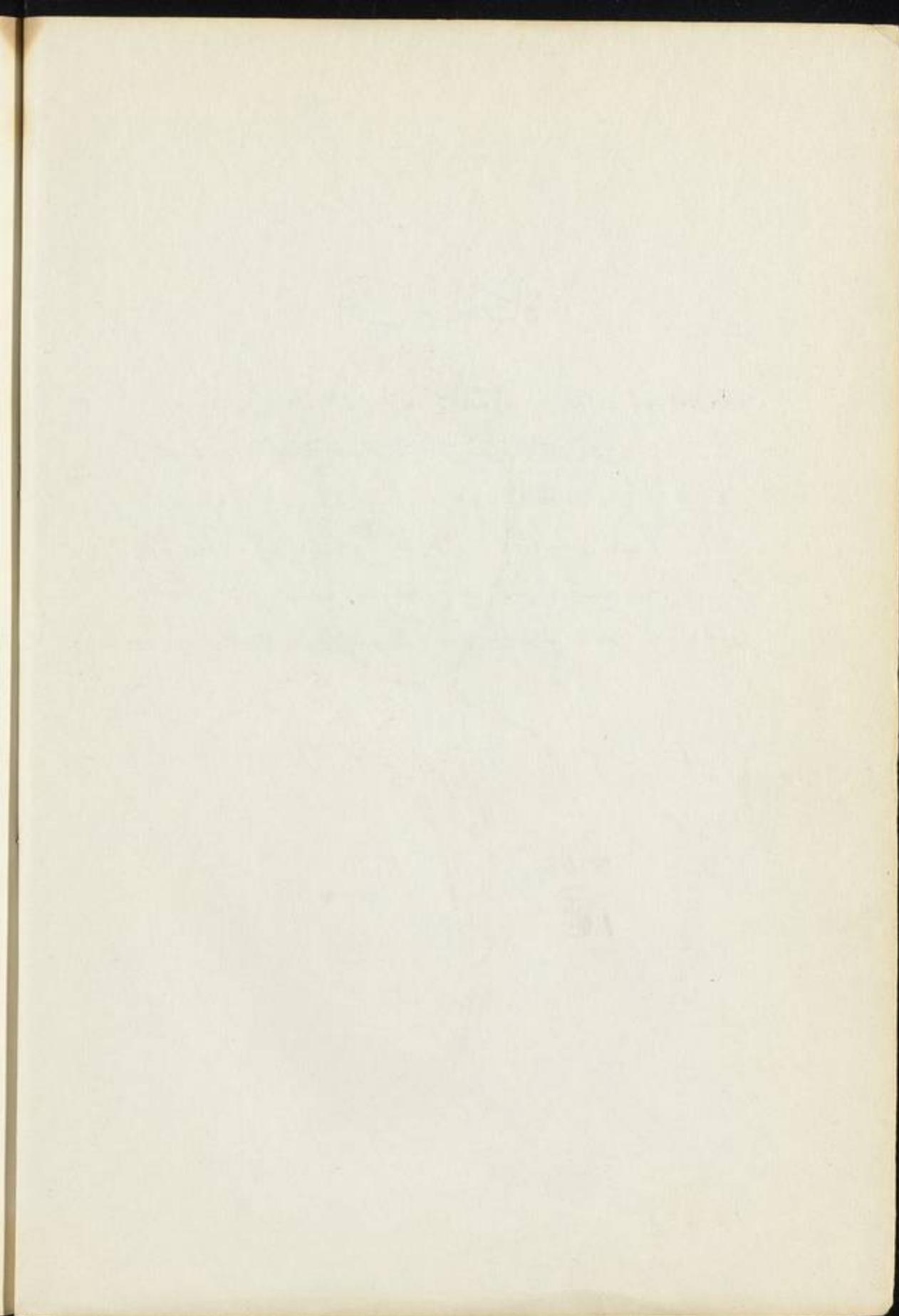


## أغاني الحياة

هو ديوان أبي القاسم الشابي نخرجه كما أعدّه ، وعلى الترتيب الذي اختاره له ،  
فلم نتصرف فيه إلا بإضافة القصائد التالية التي لم يثبتها الشاعر وهي :  
« نظرة في الحياة » ، « أنشودة الرعد » ، « في الظلام » ، « أيها الليل » ،  
« شعري » ، « أيها الحب » ، « أغنية الأحران » ، « جدول الحب » .  
وكان الشاعر يتعهد شعره بالمراجعة من حين لآخر ، فيصلح منه ؛ وسيدرك  
مدى هذا التنقيح كل من يتسنى له أن يقابل بين ما قد نشر من شعره ، و بين  
هذا الديوان .

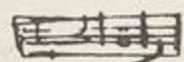
م . أ . ش

2-27-67 1988





أبو القاسم الشابي



## إرادة الحياة

اذا الشعب يوماً أراد الحياة  
 ولا بد ليلى أن ينجلي  
 ومن لم يعانق شوق الحياة  
 جويل لمن لم تشق الحياة  
 كذلك قالت لي الكائنات  
 فلا بد أن يستجيب القدر  
 ولا بد للقد أن ينكسر  
 نبحر في جوفها، وأندثر  
 من صفحة العدم المنصر  
 وحده نبيرونها المستنير

ودمت الرّيح بين الفجاج،  
 واذا ما لمحت إلى غاي  
 «ولم أجتب وعور الشعاب  
 «ولم ومن لا يجت صعوة الجبال

بعش أبتة الدهر بين الخمر،  
 فعميت بقلبي وماء الشباب  
 وضجت بصدي رايح آخر...  
 والهزقت، أصغي لقصة الرعود،  
 وعزف الرياح، ووقع المطر

ترجمة المؤلف

بقلم

محمد الأمين السابري

## أبو القاسم الشابي

١٩٠٩ - ١٩٣٤

من أبناء القرن العشرين الذين نشأوا فيما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية ، أيام كان العالم العربي يتعثر بين حاضره الأليم وماضيه القريب المنقوص ، ودعاة الإصلاح وأنصار الجديد في تلك الفترة الانتقالية ، إنما يلقون جحوداً وأذى لا تزيدهما سيطرة الغرب على الشرق ، وشموخه بحضارته ، ووثوقه بمصيره ، إلا احتداماً وسطورة لدى فريق واسع من الخاصة والعامة على السواء .

بيد أن الشاعر لم يتردد كثيراً حتى عرف سر به فانضم إليه ، ثم صدح محلقاً إلى أن اختطفته يد المنون وهو في ريعان الشباب .

\* \* \*

كان والده<sup>(١)</sup> من خريجي الأزهر ومن مجازيه ، وبه درس أولاً ، فأقام بمصر في أوائل هذا القرن سبع سنين ، ثم درس بتونس بجامع الزيتونة سنتين ، حصل بعدها على « التطوع<sup>(٢)</sup> » ، ثم سمي قاضياً شرعياً لسنة من ولادة بكره أبي القاسم فتصرف في قضاء كثير من البلدان التونسية .

كان يقضى يومه بين المحكمة والمسجد والمنزل حيث يتبسط مع أهله ، ولقد نشأ أبو القاسم في سنى تكوينه الفكرى والخلقى في كنف رعايته الصالحة يقتبس من علمه وآدابه .

(١) هو المرحوم الشيخ محمد بن بلقاسم الشابي سليل أسرة « الشاوية » التى تمحضت للعلم بعد أن أنجبت في القرنين العاشر والحادى عشر هـ . من حملة القلم والسيف من اكتسبت بمساعيمهم مجداً سجله التاريخ التونسى .

(٢) هى إجازة نهاية الدراسة بالكلية الزيتونية في ذلك العصر .

كان رحمه الله صادق التقى ، قوى العقيدة لا يخشى في الحق لومة لأثم ، له غيرة على  
شئون المسلمين والإسلام ، تنفعل بما يجرى آنذاك من أحداث بالشرق العربي  
وطرابلس الغرب أو بلاد الريف .

قال الشاعر متحدثاً عن أبيه ! « إنه أفهمنى معاني الرحمة والحنان ، وعلمنى أن  
الحق خير مافى هذا العالم وأقدس مافى هذا الوجود<sup>(١)</sup> » .

\* \* \*

لم ينشأ أبو القاسم بمسقط رأسه ، فقد خرج عنه في سنته الأولى ولم يكده يعرفه  
إلا قليلاً ، أثناء قَدْمَتَيْنِ أقام فيهما نحواً من ثلاثة أشهر ، الأولى عند ختانه في الخامسة  
من عمره ، والثانية زائراً ، وقد استغرقت جولة الأمرة عشرين سنة ضربت في بحرها  
بالبلاد التونسية طولاً وعرضاً ، متنقلة من قابس إلى سليانة فتالة ، ومن مجاز الباب  
إلى رأس الجبل فزغوان . وبين هذه المدن من الأميال ما يقدر بالمئات أحياناً ، وعلى  
نسبة ذلك اختلافُ العادات واللهجات والمشاهد الطبيعية . فلم تكن واحدة قابس  
كبسات مجاز الباب يغمرها الحصيد ، ولا هذه كبساتين رأس الجبل أو كجبل زغوان  
يكسوه شجر الصنوبر ، ولم يكن حرُّ قابس كثلوج تالة ، ولا حياة الفلاحين بمجاز  
الباب كحياة صيادي البحر بقابس أو رأس الجبل ، ولا طباعُ أهل الشمال كطباع  
أهل الجنوب .

هذه مراحل أبي القاسم وشبابه عملت على تضخم تجربته وتدفق شاعريته  
وازدهار ريشته ، بيد أن الشاعر أفاد ما يفيدته كل عابر سبيل متيقظٍ واعٍ ، إذا  
ما استقر بأرض كان ربيهاً لا ابناً الأصيل . فأطلقه هذا المصير من حدود البيئته  
الضيقة وأكسبه « تونسية » إنسانية الآفاق .

\* \* \*

(١) كتاب « الخيال الشعري عند العرب » صفحة الإهداء - وقد أهدها لوالده .

قدم أبو القاسم إلى العاصمة سنة ١٣٣٩ هـ - ١٩٢٠ م للدراسة بجامعة الزيتونة في الثانية عشرة من عمره ، وقد تكون سريعاً ، وقال الشعر با كراً<sup>(١)</sup> . كوّن نفسه ثقافة واسعة عربية بحتة جمعت بين التراث العربي القديم في أزهى عصوره وبين روائع الأدب الحديث بمصر والعراق وسوريا والمهجر ، ولم يكن يعرف لغة أجنبية ، فتمكن بفضل مطالعته الواسعة من استيعاب ما نشره المطابع العربية عن آداب الغرب وحضارته . وكانت أول نشراته في الصفحة الأدبية التي كانت ترتبها « النهضة » كل اثنين - سنة ١٣٤٢ هـ - ١٩٢٦ م وفي سنة ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٧ م . ظهر شعره مجموعاً في المجلد الأول من كتاب « الأدب التونسي في القرن الرابع عشر »<sup>(٢)</sup> وفي نفس السنة ألقى بنادي قدماء الصادقية محاضرة حول « الخيال الشعري عند العرب » كانت مادة الكتاب الذي نشر بنفس العنوان في السنة التالية .

وإنك لتجدده وهو يواصل دراسته و يضع شعره في صميم حركات الإصلاح التي كانت تعتلج بها النفوس آنذاك من بعث حركة الشبان المسلمين ودعوة لتجديد الجهاز

- (١) قصيدة (يا حب) التي أثبتناها بالديوان ، نظمها سنة ١٣٤٢ هـ - ١٩٢٣ م . وقد وصف صديقه الأستاذ زين العابدين السنوسي طريقته في وضع قصائده ، فقال : ( إذارجعنا إلى أدبائنا المعاصرين عرفنا أن المرحوم أبا القاسم الشابي لم يكن يستعمل الشعر ولكنه كان يفيض عليه مهاجمة تمنعه الراحة والنوم ، فيصوغ القصيدة بيتاً بيتاً ويتهدى كل واحدة بمفردها في ليله وظلامه الدامس . ولا تفارقه تلك الحال حتى يستفرغ ما جاش بضميره شعراً محكماً ، ثم ينام مطمئناً كأنما نزع عن ظهره عبثاً ، حتى إذا استيقظ في الغد متأخراً وجدها على طرف لسانه ونسخها عن ذاكرته مطمئناً ، وربما طاش عنه الشطر فلا يرضى أن يعوضه أبداً ، وتبقى القصيدة بترأ في جيبه يقرؤها علينا بترأ لا يجسر على ترقيعها أبداً ، إلا أن يتذكرها ولو بعد أشهر فيتمها وينسخها في كناشة ) .
- (٢) تأليف الأستاذ زين العابدين السنوسي ( انظر الجزء الأول من صفحة ٢٠٣ حتى صفحة ٢٥٤ ) .

الثقافي التقليدي ، ومناصرة لحرمة تحرير المرأة<sup>(١)</sup> ودعوة للتجديد في الأدب تحتل  
المكان الأول من نفسه . وقد أحدث كتابه « الخيال الشعري » الضجة الكبرى  
واستهدف الشاعر بسببه لجملة صحفية عنيفة ثبت لها ثبات الرائد المؤمن بما يقول .  
نشرت هذه الآثار في حياة والده ، فلم ينكر عليه مذهبه ، ووجد الشاعر  
في تسامح أبيه ما يعزز جانبه ويثبت خطاه .

وفي هذه الأثناء ( سنة ١٩٢٩ ) نكب بوفاة والده المحبوب ، ولقد رافقه عليلا  
من بلد « زغوان » إلى « نوزر » مسقط رأسه ، وتجرع غصص مرضه ، وطفحت  
الكأس بموته وهو في الخمسين من عمره ، فاضطلع بأعباء عائلة كبيرة واختار طريقا  
وعرا ، فإنه - ضننا بجزية الأديب والشاعر - لم يبلغ باب الارتزاق من المناصب  
الحكومية ورضى بحياة بسيطة على رأس أمرته بتوزر حيث تزوج ، ولعل هذا الذي  
عناه بعضهم حين قال : « كنا نرى في نفسه الزكية مثال القناعة في أفضل ألوانها  
والطموح على خير وجوهه<sup>(٢)</sup> » .

وفي السنة نفسها أصيب بداء تضخم القلب ، وهو في الثانية والعشرين من عمره ،  
بيد أنه رغم نهى الطبيب لم يقلع عن عمله الفكري وواصل إنتاجه نثرا وشعرا .  
وقد نشرت له سنة ١٩٣٣ بمجلة « أبولو » المصرية قصائد عملت على التعريف به  
في الأوساط الأدبية بالشرق العربي ، وإلى أبي القاسم أوكل صديقه الدكتور أحمد زكي  
أبو شادي تصدير ديوانه « ينبوع » .

لم يكن الشاعر المريض يغادر « نوزر » إلا في الصيف ويقصد المصطافات  
الجبيلية كعين دراهم بالشمال التونسي سنة ١٩٣٢ ، والمشروحة ببلاد الجزائر سنة ١٩٣٣ ،

(١) ناصر الشاعر صديقه المغفور له الطاهر الحداد واضع كتاب « امرأتنا في الشريعة  
والمجتمع » الذي أثار ردودا حارة وسخطا عنيفا .

(٢) مجلة « العالم الأدبي » ( شعبان سنة ١٣٥٣ - نوفمبر سنة ١٩٣٤ )

وشرع أثناء مصيف سنة ١٩٣٤ في جمع ديوانه « أغاني الحياة » بنية طبعه بمصر<sup>(١)</sup> فانتسخه بنفسه بحماة الجريد ، مستعيناً ببعض أدبائها ، لكن باغتته المنية وحالت دون مانوى . فقد انتابه المرض بغاية الشدة وقصد « تونس » يوم ٢٦ من أغسطس سنة ١٩٣٤ وبها توفى<sup>(٢)</sup> سحراً يوم ٩ من أكتوبر سنة ١٩٣٤ ، ثم نقل جثمانه إلى بلده « توزر » حيث قبره .

\*\*\*

نحيف الجسم ، مديد القامة ، قوى البديهة ، سريع الانفعال ، حادّ الذهن ، تكفكف رقة طبعه من غرب عاطفته وحدة ذهنه . يراه أصدقاؤه « بشوشاً ، كريماً ، وديعاً ، متأنقاً ، طروباً لمجالس الأدب يحب الفكاهة الأدبية »<sup>(٣)</sup> ويراه من لم يخالطه حياً محتشماً ويعرف منه هؤلاء وأولئك صراحة حازمة قوية يبيديها لخاصة خلطائه في غير ما تخرج متى اجتمع بهم ، ويجاهر بها العموم في شعره ونثره . وكان محباً لبلاده ، صادق الوطنية<sup>(٤)</sup> يؤمن بأن لقادة الفكر رسالة إنسانية سليمة حاول جهده أن يحققها في أثناء حياته القصيرة قولاً وعملاً .

م أسد

تونس في ١٢ من افريل سنة ١٩٥٤

- (١) حيث تطوع الدكتور أبو شادي للاشراف على طبعه .  
 (٢) بالمستشفى الإيطالي « القديم » بحي « مونفلوري » .  
 (٣) العالم الأدبي ديسمبر ١٩٣٤ بقلم المغفور له البشير الفورتى عميد الصحفيين التونسيين .

(٤) أبنه في ذكره الأربينية المرحوم الطاهر صفر أحد قادة الحركة الوطنية الممتازين إذذاك وأحد أعضاء الديوان السياسي للحزب الحر الدستوري التونسي بما خلاصته : ( تكلم الأستاذ صفر نيابة عن قدماء الصادقية على شاعرنا الفقيده فأكبر روحه الأدبية ونبوغه الشعري وأشار إلى الناحية الوطنية والإحساس الفياض الذي كان الشاعر يفيض به عن آمال بلاده وآلامها ، وقد ذكر الخطيب أنه اجتمع مع فقيدهنا الشاب في بلدة طبرقة حينما كان الشاعر في حال شديدة من الألم ، وقد دار إذذاك الحديث بين الشاعر والزعيم في الوطنية عما يؤمله للشعب التونسي من التقدم ورتى الشاعر لحال الشعب الآن ، وقد عبر عن ذلك في قطعة شعرية وطنية نشرتها جريدة « العمل » بعدد (٢٢) « العالم الأدبي » في ديسمبر سنة ١٩٣٤ .

## مِنْ وَرَاءِ الظَّلَامِ

ضِيَعُ الدَّهْرِ مَجْدَ شِعْبِي ، وَلَكِنْ سَتَرْتُ الحَيَاةَ يَوْمًا وَشَاحَهُ  
إِنْ ذَا عَصْرُ ظِلْمَةٍ ، غَيْرَ أَنِّي مِنْ وَرَاءِ الظَّلَامِ شِمْتُ صَبَاحَهُ

هذان البيتان استبقاهما الشاعر لهذا الديوان من قصيدة نظمها في ذي القعدة ١٣٤٣ .  
وإلى القارئ نصها بعنوانها كما وجدناه في مسودات الشاعر :

## تونس الجميلة

لست أبكي لعسف ليلٍ طويلٍ ، أو لربيع غدا العفاءِ مراحه  
إنما عبرتني لخطبٍ ثقيلٍ ، قد عرانا ، ولم نجد من أراحه  
كلما قام في البلاد خطيبٌ ، موقظٌ شعبه يريد صلاحه  
أخذوا صوته الإلهي بالعسف ، أماتوا صدأه ونواحه  
ألبسوا روحه قميصَ اضطهادٍ فانك شائكٍ بردٌ جاحه  
وتوخَّوا طرائق العسف والإر هاق تَوًّا ، وما توخَّوا سماحه  
هكذا المخلصون في كل صوبٍ رشقاتُ الردى إليهم متباحه  
غير أنا تناوبتنا الرزايا واستباحت حمانا أي استباحه

\*\*\*

أنا يا تونس الجميلة في ليج الهوى قد سبحت أي سباحه

شِرْعَتِي حُبُّكَ الْعَمِيقُ وَإِنِّي قَدْ تَذَوَّقْتُ مُرَّهُ وَقَرَّاحَهُ  
لَسْتُ أَنْصَاعُ لِلْوَاحِي وَلَوْ مَسَّتْ وَقَامَتْ عَلَى شِبَابِي الْمَنَاحَهُ  
لَا أَبَالِي . . . وَإِنْ أُرِيقَتْ دِمَائِي فِدِمَائِهِ الْعِشَاقِ دَوْمًا مُبَاحَهُ  
وَبَطُولِ الْمَدَى تُرِيكَ اللَّيَالِي صَادِقَ الْحُبِّ وَالْوَلَاةِ وَسَجَاحَهُ  
إِنَّ ذَا عَصْرٍ ظَلَمَةٍ غَيْرِ أَيِّ مَنْ وَرَاءِ الظَّلَامِ شَمْتُ صَبَاحَهُ  
ضَيَعَ الدَّهْرُ تَجَدَّدَ شِعْبِي وَلَكِنْ سَتَرْتُ الْحَيَاةَ يَوْمًا وَشَاحَهُ

## مِنْ حَدِيثِ الشُّيُوعِ

أَلَا إِنَّ أَحْلَامَ الشَّبَابِ ضَيْلَةٌ تَحْطُمُهَا مِثْلَ الْغُصُونِ الْمَصَابِ  
سَأَلْتُ الدِّيَاجِي عَنِ أَمَانِي شَيْبَتِي فَقَالَتْ : « تَرَامَتِهَا الرِّيَّاحُ الْجَوَائِبُ »  
وَمَا سَأَلْتُ الرِّيحَ عَنْهَا أَجَابَنِي : « تَلَفَّقَهَا سَيْلُ الْقَضَا ، وَالنَّوَابِغُ »  
« فَصَارَتْ عَفَاءً ، وَاضْمَحَلَّتْ كَذَرَّةً عَلَى الشَّاطِئِ الْمَحْمُومِ ، وَالْمَوْجِ صَاخِبُ »

## خَلَّةٌ لِلْمَوْتِ

كُلُّ قَلْبٍ حَمَلَ الْخُسْفِ ، وَمَا مَلَّ مِنْ ذَلِّ الْحَيَاةِ الْأَرْذَلِ  
كُلُّ شَعْبٍ قَدْ طَفَّتْ فِيهِ الدَّمَا دُونَ أَنْ يَنْثَارَ لِلْحَقِّ الْجَلِيِّ  
خَلَّةٌ لِلْمَوْتِ يَطُوبُ بِهِ ! . . . فَمَا حَظَّهُ غَيْرَ الْغِنَاءِ الْأَنْسَكَلِ

## الحياة

إن هذى الحياة قيثاره الله ، وأهل الحياة مثل اللحن  
نغمه يستبى المشاعر كالسحر ، وصوت يجل بالتلحين  
والليالى مغاور ، تلجد اللحن وتقضى على الصدى المسكين

## نظرة في الحياة

إن الحياة صراع فيها الضعيف يداس  
ما فاز في ماضئها إلا شديد المراس  
للخب فيها شجون فكن فتى الاحتراس  
الكون كون شقاء الكون كون التباس  
الكون كون اختلاقي وضجة واختلاس  
سيان عندي فيه السرور ، والابتئاس

\*\*\*

بين النوائب بون للناس فيه مزايا  
البعض لم يدر إلا البلى ينادى البلايا  
والبعض مذاق منها سوى حقير الرزايا

إن الحياة سُباتٌ سينقضى بالمنـايا  
وما الرُّؤى فيه إلا آمالنا ، والخطايا  
فإن تيقظ كانت بين الجفون بقايا

\*\*\*

إن السكينة رُوح في الليل ليست تُضام  
والروح شمعة نور من فوق كل نظام  
لا تنطفئ بريح الـ إرهاب أو بالحسام  
بل قد يعج لظاها سيلاً ، ويطغى الضرام  
كل البلايا . . . جميعا تفنى ويحيا السلام !  
والذل سبة عار لا يرتضيه الكرام !

\*\*\*

الفجر يسطع بعد الـ دجى ، ويأتى الضياء  
ويرقد الليل قسراً على مهـاد العفاء  
ولاشعوب حياة حيناً وحيناً فناء  
والياس موت ولكن موت يثير الشقاء  
والجدُّ للشعب روح توحى إليه الهناء  
فإن تولت تصدَّت حياته للبلاد :

## غرفة من غيم

ضعف العزيمة لحدّ ، في سكينته  
 وفي العزيمة قوّاتٌ ، مُسَخَّرَةٌ  
 والناس شخصان : ذا يسعى به قدّم  
 هذا إلى الموت ، والأحداثُ ساخرةٌ ،  
 ما كلُّ فعلٍ يُجِلُّ النَّاسُ فاعله  
 ففي التماجد تمويهٌ ، وشعوذةٌ ،  
 ما المجدُ إلاّ ابتساماتٌ يفيض بها  
 وليس بالمجد ما تشقى الحياة به  
 فما الحروب سوى وحشيّةٍ ، نهضتْ  
 وأيقظت في قلوب الناس عاصفةً  
 فالدهر منتعلٌ بالنارِ ، ملتحفٌ  
 والأرض داميةٌ ، بالإثم طامية ،  
 والموتُ كالسارد الجبّار ، منتصبٌ  
 وفي المهامه أشلاءٌ ، ممزّقةٌ

تقضى الحياة ، بناءً اليأسُ والوجلُّ  
 يجرُّ دون مداها الشامخُ الجبلُّ  
 من القنوطِ ، وذا يسعى به الأملُ  
 وذا إلى المجد ، والدنيا له حَوْلُ  
 مجداً ، فإنّ الورى في رأيهم خطلُ  
 وفي الحقيقة مالا يدرك الدّجلُ  
 فمُ الزمان ، إذا ما انسدتِ الحيلُ  
 فيحسدُ اليومُ أمساً ، ضمه الأزلُ  
 في أنفُسِ الناسِ ، فانقادت لها الدولُ  
 غام الوجودُ لها ، وازبدت السُّبُلُ  
 بالهولِ ، والويلِ ، والأيامُ تشتعلُ  
 وماردُ الشرِّ في أرجائها ثملُ  
 في الأرض ، يخطف من قدخانه الأجلُ  
 تتلو على القفر شعراً ، ليس يُنتحلُّ

## أَنْشُودَةُ الرَّعْدِ

في سكون الليل لما عانق الكون الخشوع  
واختفى صوت الأمانى خلف آفاق الهجوع

\*\*\*

رتل الرعد نشيدا رددته الكائنات  
مثل صوت الحق إن صاح بأعماق الحياة

\*\*\*

يتهادى بضجيج في خلايا الأودية  
مثل جبار بنى الجن بأقصى الهاوية

\*\*\*

فسألتُ الليل ، والله ل كئيبٌ ، ورهيبٌ  
شاخصا بالليل والله ل جميلٌ ، وغريبٌ

\*\*\*

« أترى أنشودة الرعد أنينٌ وحنينٌ  
رنتها بخشوع مهجة الكون الحزين ؟ »

\*\*\*

أم هي القوة تسعى باعتساف واصطخاب  
يتراءى في ثنايا صوتها روح العذاب ؟ »

\*\*\*

غير أن الليل قد ظلل ركودًا ، جامدًا  
صامتًا مثل غدیر الـمـفر ، من دون صدى !

## في الظلام

رفرفت في دُجية الليل الحزين زُمرَةُ الأحلام  
فوق سرب من غمامات الشجون ملؤها الآلام

\*\*\*

شخصت ، لما رأت ، عينُ النجوم بعنة العُشاق  
ورمتها من سماها بِرِجُومِ تسكب الأحراق

\*\*\*

كنت إذ ذاك على ثوب السكون أنثر الأحران  
والهوى يسكب أصداء المنون في فؤادِ فان

\*\*\*

ساكتاً مثل جميع الكائنات راكدَ الألحان  
هائمٌ قلبي بأعماق الحياة تائهٌ ، حيران

\*\*\*

إنَّ لِلْحَبِّ على الناس يدًا تقصف الأعمار  
وله فخرًا على طول المدى ساطع الأنوار

\*\*\*

ثورةُ الشر ، وأحلامُ السلام ، وجمالُ النور  
وابتسامُ الفجر في حزن الظلام ، في العيون الحور

## مَاتَ الْحَبِّ

ليت شعرى !  
أئى طير  
يسمع الأحزان تبكى بين أعماق القلوب  
ثم لا يهتف فى الفجر ، برنات النحيب  
بخشوع ، واكتئاب ؟

\*\*\*

لست أدرى  
أئى أمر  
أخرس العصفور عني ، أنرى مات الشعور  
فى جميع الكون ، حتى فى حُشاشات الطيور ؟  
أم بكى خلف السحاب ؟

\*\*\*

فى الدياجى  
كم أناجى  
مسمع القبر ، بغصّات نحيبى ، وشجونى  
ثم أصغى ، علنى أسمع ترديد أنينى

فأرى صوتي فريد !

\*\*\*

فأنا ———— هادي :

« يافـؤادي »

« مات من تهوى ! وهذا اللحد قد ضمَّ الحبيب »

« فابكٍ ياقلب بما فيك من الحزن المذيب »

« أبكٍ ياقلب ، وحيد ! »

\*\*\*

ذلَّ قلبي ،

مات حبي !

فاذرفي يامقلَّةَ الليل ، الدراري عبرات

حول حبي ، فهو قد ودَّع آفاق الحياة

بعد أن ذاق الالهيب

\*\*\*

، وانديبه ———— ه ،

، واغسله ———— ه ،

بدموع الفجر ، من أكوام زهر الزنبق

وادفنيه بجلال ، في ضفاف الشفق

ليرى روح الحبيب

\*\*\*

## الكآبة المجهولة

أنا كئيب ،

أنا غريب ،

كآبتي خالفت نظائرها

غريبة في عوالم الحزن

كآبتي فكرة مَعْرَدَةٌ

مجهولة من مسامع الزمن

لكنتي قد سمعت رنَّتها

بمهجتي ، في شبابي التمل

سمعتها ، فانصرفت مكتئبا

أشدو بجزني ، كطائر الجبل

سمعتها أنه يرجعها

صوت الليالي ، ومهجة الأزل

سمعتها صرخة مضعضة

كجدول في مضائق السبل

سمعتها رنةً ، يعانقها  
شوقٌ إلى عالم يضعضها  
ضعيفةً مثل أنةٍ صعدتُ  
من مهجةٍ هدَّها توجُّعها

كآبةُ الناسِ شعلةٌ ، ومتى  
مرت ليالٍ خبت مع الأمد  
أما اكتئابِي فلوعةٌ سكنتُ  
روحِي ، وتبقى بها إلى الأبد

\*\*\*

أنا كئيب ، أنا غريب ،  
وليس في عالم الكآبة من  
يحملُ معشارَ بعضِ ما أُجدُ  
كآبتي مرَّةً ، وإن صرختُ  
روحِي فلا يسمعها الجسد

كآبتي ذات قسوةٍ صهرت  
مشاعري في جهنمِ الألم  
لم يسمع الدهرُ مثل قسوتها  
في يقظةٍ قط ، لا ، ولا حلمٍ

كأبتي شُعلةٌ مُوجَّجةٌ ،  
تحت رماد الكون تستعير  
سيعلم الكونُ ما حقيقتها  
ويطلع الفجر يوم تنفجر

\*\*\*

كأبئة الناس شعلةٌ ، ومتى  
مرت ليال خبت مع الأمد  
أما اكنثابي فلوعةٌ ، سكنت  
روحي ، وتبقى بها إلى الأبد

## أيها الليل

أيها الليل ! يا أبا البؤس والأهوا ، ل ، ! ياهيكل الحياة الرهيب !  
 فيك تجثو عرائس الأمل العذ ، ب ، تُصلى بصوتها المحبوب  
 فيثير التشيدُ ذكرى حياة حجبها غيوم دهر كئيب  
 وترف الشجون من حول قلبي بسكون ، وهيبة ، وقطوب  
 أنت يا ليل ! ذرّة ، صعدت للسكون ، من موطن الجحيم الغضوب  
 أيها الليل ! أنت نعم شجى في شفاء الدهور ، بين النحيب  
 إن أنشودة السكون ، التي ترتج ، في صدرك الركود ، الرحيب  
 تُسمع النفس ، في هدوء الأمانى رنة الحق ، والجمال الخلوب  
 فتصوغ القلوب ، منها أغاريدا ، تهز الحياة هز الخطوب  
 تكلوى الحياة ، من ألم البؤ ، فتبكي ، بلوعة ونحيب  
 وعلى مسمعك ، تنهل نوحا وعويلا مرًا ، شجون القلوب  
 فأرى برقًا شفيقا ، من الأوجاع ، يُلقى عليك شجون الكئيب  
 وأرى في السكون أجنحة الجبار ، مخرجة بدمع القلوب  
 فلك الله ! من فؤاد رحيم ولك الله ! من فؤاد كئيب  
 يهجم السكون ، في طمأنينة المصفور ، طفلا ، بصدرك الغريب  
 وبأحضانك الرحيمة يستيقظ ، في نضرة الضحوك ، الطروب

شادياً ، كالطيور بالأمل العذ ب ، جميلاً ، كهجة الشؤوب  
يا ظلام الحياة ! ياروعة الحزن ! ويا معزف التعميس الغريب  
إن في قلبك الكئيب ، لمرتاداً لأحلام كل قلب كئيب  
وبقيثارة السكينة ، في كفيك ، تنهل رنة المسكروب  
فيك تنمو زنابق الحلم العذ ب ، وتذوي لدى لهيب الخطوب  
خلف أعماقك الكئيبة تنسا ب ظلال الدهور ، ذات قطوب  
وبقوديك ، في صفائك السود ، تدب الأيام أي ديب

\*\*\*

صاح ! إن الحياة أنشودة الحزن ن ، فرتل على الحياة محبي  
إن كأس الحياة مترعة بالدم - مع ، فاسكب على الصباح حبيبي  
إن وادي الظلام يطفح بالهو ل ، فما بعد ابتسام القلوب ؛  
لايغرنك ابتسام بني الأر ض خلف الشعاع لذع اللهب  
أنت تدري أن الحياة قطوب ب وخطوب ، فما حياة القلوب ؟  
إن في غيبة الليالي ، تباعا لخطيب يمر إثر خطوب

\*\*\*

سدت في سكينه الكون ، للأعما ق ، نفسى لحظا بعيد الرسوب  
نظرة مزقت شغاف الليالي لى فرأت مهجة الظلام الهيوب  
ورأت في صميمها ، لوعة الحزن ن ، وأصفت إلى صراخ القلوب  
لاتحاول أن تنكر الشجو ، إني قد خبرت الحياة خبر لبيب

فتبرمتُ بالسكينة والضجّة ، بل قد كرهتُ فيها نصيبي . . .  
 كن كما شاءت السماء كثيبًا أي شيء يسر نفس الأريب ؟  
 أنفوسٌ تموت ، شاخصةً بالهول ، في ظلمة القنوط العصيب ؟  
 أم قلوبٌ محطاتٌ على ساحل لُـ حجّ الأسي ، بموج الخطوب ؟  
 إنما الناس في الحياة طيورٌ قد رماها القضا بواد رهيب  
 يعصف الهولُ في جوانبه السو ديفيقى على صدَى العندليب

\*\*\*

قد سألتُ الحياة عن نعمة الفجر ، وعن وَجْمة المساء القَطوب  
 فسمعتُ الحياة ، في هيكل الأحزان ، تشدو بلحنها المحبوب :  
 ما سكوتُ السماء إلا وجومٌ مانشيد الصباح غير نحيب .  
 ليس في الدهر طائرٌ يتغنى في ضفاف الحياة غير كئيب  
 خضَّب الاكتئاب أجنحة الأيا م ، بالدمع ، والدم الأسكوب  
 وعجيبٌ أن يفرح الناس في كهف الليالي ، بمخزنها المشبوب !

\*\*\*

كنت أرنو إلى الحياة بلحظٍ باسم ، والرجاء دون لغوب  
 ذلك عهد حسبته بسمه الـ فجر ، ولكنه شعاع الغروب  
 ذلك عهد ، كأنه رنة الأفرا ح ، تنساب من فم العندليب  
 خفت — ريثما أصحّت لها بالقلبا ب ، حيناً — وبُدلتُ بنحيب

إن خمر الحياة وردية اللون ، ولكنها سمام القلوب

\*\*\*

جرفت من قراره القلب أحلامى ، إلى اللحد ، جاثرات الخطوب  
فتلاشت على تخوم الليالى وتهاوت إلى الجحيم الفضوب  
وتوى فى دُجْنَةِ النفس ، ومضت لم يزل بين جَيْتَةٍ ، وذُهور  
ذِكْرِيَّاتٍ تَمِيسُ فى ظُلْمَةِ النَّفْسِ ، ضَيْالًا ، كرائعات المشيب

\*\*\*

ياقلب تجرع اللوعة المرّة من جدول الزمان الرهيب !  
ومضت فى صميمه شُعْلَةٌ الحزن ، فَعَشَّتُهُ من شعاع اللهب . . .

## شكوى اليتيم

على ساحل البحر، أأب يضحخ صراخُ الصباح ونوحُ المساء  
تنهدتُ، من مهجة أترعت بدمع الشقاء وشوك الأسي  
فضاع التنهد في الضجة  
بما في ثناياه من لوعة  
فسرتُ وناديتُ: «يا أمُّ! هيا  
إلى! فقد سئمتني الحياة»

وجئت إلى الغاب، أسكبُ أوجاع قلبي نحيباً، كلفح الأهباب  
نحيباً تدافع في مهجتي، وسال يرزُّ بندب القلوب  
فلم يفهم الغابُ أشجانهُ  
وظلَّ بردد الحانهُ  
فسرتُ وناديتُ: «يا أمُّ! هيا  
إلى! فقد عذبتني الحياة»

وقتُ على النهر، أهرق دمعاً تفجر من فيض حزني الأليم  
يسيرُ بصمتٍ على وجنتي وياعم مثل دموع الجحيم  
فما خفف النهرُ من عدوه  
ولا سكت النهرُ عن شدوه

فسرتُ، وناديتُ: «يا أمّ! هتيا  
إلى! فقد أضجرتني الحياة»

\*\*\*

ولما ندبتُ ولم ينفع  
وناديتُ أمي فلم أسمع  
رجعتُ بحزني إلى وحدتي  
ورددتُ نوحِي على مِسمعي  
وعانقتُ في وحدتي لوغتي  
وقلت لنفسي: «ألا فاسكتي!»

## الزَّنبَقُ الدَّائِيَّةُ

أزنبقة السَّمْح؟ مالى أراكِ تعانقكِ اللوعةُ القاسيةُ ؟  
 أفى قلبكِ الغضُّ صوتُ اللهبِ ، يرتلُ أنشودةَ الهاويةِ ؟  
 أسمعكِ الليلُ ندبَ القلوبِ أأرشفكِ الفجرُ كأسَ الأسمى؟  
 أصبَّ عليكِ شعاعُ الغروبِ نجيمَ الحياةِ ، ودمعَ المساءِ ؟  
 أأوقفكِ الدهرُ حيثُ يُفجِّجُ رُوحَ الحياةِ صُدوعَ الصدورِ ؟  
 وَيَنبِثُكِ الليلُ طيفاً ، كثيراً رهيباً ، ومخفقُ حزنُ الدهورِ ؟

\*\*\*

إذا أضجرتكِ أغاني الظلامِ فقد عذبتنى أغاني الوجومِ  
 وإن هجرتكِ بناتُ الغيومِ ، فقد عانتنى بناتُ الجحيمِ  
 وإن سكب الدهرُ فى مسمعِكِ نجيبَ الدجى ، وأنينَ الأملِ  
 فقد أجبج الدهرُ فى مهجتي شواظاً من الحزنِ المشتعلِ  
 وإن أَرشفتكِ شفاهُ الحياةِ رُضابَ الأسمى، ورحيقَ الألمِ  
 فإني تجرعتُ من كَفِّها كُؤوساً، مؤجَّجَةً، تضطرم

\*\*\*

أصيحى ! فما بين أعشارِ قلبى يرفُ صدى نوحكِ الخافتِ

معيّداً على مهجتي بحفيف      جناحيه صوتَ الأسي المائت  
وقد أترع الليلُ بالحب كأسي      وشعشعها بلهيب الحياة  
وجرّ عني من ثمالاته      مرارة حزنٍ، تذيب الصفاء  
إلى ! فقد وحدت بيننا      قساوة هذا الزمان الظلوم  
فقد فجّرت في هذي السكّوم      كما فجّرت فيك تلك السكّوم

\*\*\*

وإن جرفتنى أ كفّ المنون إلى اللحد ، أو سحقتك الخطوب  
فحزني وحزنك لا يبرحان أليفين رغم الزمان العصيب  
وتحت رواق الظلام السكّيب      إذا شمل السكون روح السحر  
سيُسمع صوتٌ، كلحن شجيّ      تطايرَ من خفقات الوتر  
يردّده حزننا في سكّونٍ      على قبرنا ، الصامت المطمئن  
فترقد تحت التراب الأصمّ      جميعاً على نغمات الحزن

## شِعْرِي ٧٢

شعري نُفَّانَةٌ صدري      إن جاش فيه شعوري  
 لولاه ما انجباب عني      غيمُ الحياة الخطير  
 ولا وجدتَ اكنثابِي      ولا وجدتَ سروري  
 به تراني حزيناً      أبكي بدمعِ غزير  
 به تراني طَـرُوباً      أجرَ ذيلِ حُبوري

\*\*\*

لأنظم الشعرَ أرجو      به رضاء الأـمـير  
 بمدحـة أو رثاء      تُهْدِي لرب السرير  
 حسبي إذا قلتُ شعرا      أن يرتضيه ضميري

\*\*\*

ما الشعر إلا فضاء      يَرِفُّ فيه مقالِي  
 فيما يسرّ بلادِي      وما يسرُّ العالِي  
 وما يثير شعوري      من خافقات خيالِي

\*\*\*

لأقرض الشعر أبني      به اقتناص نوال  
 الشعر إن لم يكن في      جماله ذا جلال

فإنما هو طيف يسعى بوادى الظلال  
يقضى الحياة طريداً في ذلة ، واعتزال

\*\*\*

يا شعر! أنت ملاكى وطارفي ، وتلادى  
أنا إليك مُراد وأنت نعم مرادى  
قف ، لا تدغني وحيداً ولا أدعك تنادى  
فهل وجدت حُساماً يُنَاط دون نجاد

\*\*\*

كم حطّم الدهرُ ذا همّةٍ كثيرَ الرماد  
ألقاه تحت نعالٍ من ذلّةٍ وحداد  
رفقاً بأهل بلادى ! يامنجنون العوادى !

## يَاشِعْرُ

ياشِعْرُ أَنْتَ فَمُ الشُّعُورُ ، وَصَرَخَةُ الرُّوحِ الكَثِيبِ  
ياشِعْرُ أَنْتَ صَدَى نَحِيبِ القَلْبِ ، وَالصَّبِّ الغَرِيبِ  
ياشِعْرُ أَنْتَ مَدَامَعُ عَلِقَتْ بِأَهْدَابِ الحَيَاةِ  
ياشِعْرُ أَنْتَ دَمٌّ ، تَفَجَّرَ مِنْ كَلُومِ السَّكَّانَاتِ  
ياشِعْرُ ! قَلْبِي - مِثْلَمَا تَدْرِي - شَقِيٌّ ، مَظْلَمٌ  
فِيهِ الجِرَاحُ ، النُّجْلُ ، يَقَطُرُ مِنْ مِغَاوِرِهَا الدَّمُ  
جَمَدَتْ عَلَى شَفْتَيْهِ أَرْزَاءُ الحَيَاةِ العَابِسَةِ  
فَهُوَ التَّعْيِيسُ ، يُذْيِبُهُ نُوحُ القُلُوبِ البَائِسَةِ  
أَبَدًا يَنْوَحُ بِمِجْرَقَةٍ ، بَيْنَ الأَمَانِي المَهاوِيَةِ  
كَالْبَلْبَلِ الغَرِيدِ مَا بَيْنَ الزُّهُورِ الذَّاوِيَةِ  
كَمْ قَدْ نَصَحْتُ لَهُ بِأَنْ يَسْلُو ، وَكَمْ عَزَّبْتُهُ  
فَأَبَى ، وَمَا أَصْنَى إِلَى قَوْلِي ، فَمَا أَجْدَيْتُهُ  
كَمْ قُلْتُ : « صَبِرًا يَا فَوْادُ ! أَلَا تَكْفُفُ عَنِ النَحِيبِ ! »  
فَإِذَا تَجَلَّدَتْ الحَيَاةُ تَبَدَّدَتْ شُعْلُ المَهِيبِ «

« يا قلب ! لا تجزع أمامَ تصلُّبِ الدهرِ المصورِ »

« فإذا صرختَ توجُّعًا هزئتَ بصرختكَ الدهورِ »

« يا قلب ! لا تسخط على الأيام ، فالزهر البديعُ »

« يصغى لضجّاتِ العواصفِ قبل أنغامِ الربيعِ »

« يا قلب ! لا تنقعْ بشوكِ اليأسِ من بين الزهورِ »

« فوراءَ أوجاعِ الحياةِ عذوبةُ الأملِ الجسورِ »

« يا قلب ! لانسكبْ دموعكَ بالقضاءِ فتندمِ »

« فعلى ابتساماتِ القضاءِ قساوةُ المتمكِّمِ »

لكنَّ قلبي — وهو مُخضِّلُ الجوانبِ بالدموعِ —

جاشتْ به الأحزانُ ، إذ طفحت بها تلك الصدوعِ

يبكي على الحلمِ البعيدِ بلوعةٍ ، لا تنجلي

غردًا ، كصدَّاحِ الهواتفِ في الغلا ، ويقول لى :

« طهَّزْ كلومكَ بالدموعِ ، وخلِّها ، وسبيلها »

« إنَّ اللداعِ لا تضيعُ حقيرها وجليلها »

« قَمِنَ اللداعِ ما تدفَعُ جارفًا حسَكُ الحياةِ »

« يرعى لهاويةَ الوجودِ بكل ما يبني الطغاةُ »

« ومن المدامع ماتألق في الغياهب كالنجوم »  
« ومن المدامع ما أراح النفس من عبء الهموم »

فأرحم تعاسته ، ونُحْ معه على أحلامه  
فلقد قضى الحلمُ البديعُ على لظى آلامه  
يا شعر ! يا وحيَ الوجودِ الحى ، يا لُغَةَ الملائك  
غرَّدْ ، فأيايِ أنا تبكى على إيقاع نائك

ردَّدْ على سمع الدجى أناتِ قلبى الواهية  
واسكب بأجفان الزهور دموعَ قلبى الدامية

فلعلَّ قلب الليل أرحم بالقلوب الباكية  
ولعلَّ جفن الزهر أحفظ للدموع الجارية

كم حرَّكت كفى الأسي أوتارَ ذياك الحنين  
فتهاملت أحزانُ قلبى فى أغاريد الأنين

فلَكمَ أرقتُ مدامى ، حتى تفرَّحتِ الجفونُ  
ثمَّ التفتُ ، فلم أجد قلبًا يقاسمى الشجون

فعى يكون الليل أرحم ، فهو مثلى يندب  
وعسى يصون الزهر دممى ، فهو مثلى يسكب

قد قنعتُ كَفَّ المساءِ الموتَ بالصَّمتِ الرهيبِ ،  
فعدا كأعماقِ الكهوفِ ، بلا ضجيجٍ أو وجيبِ

---

يأتى بأجنحةِ السكونِ ، كأنه الليلُ البهيمِ  
لكن طيفَ الموتِ قاسٍ ، والدجى طيفُ رحيمِ

---

ما للنيةِ لا ترقُّ على الحياةِ النائمِ ؟  
سيِّانِ أفئدةٍ تنن ، أو القلوبِ الصادحةِ

---

يا شعراً ! هل خُلِقَ المَنونُ بلا شعورٍ كالجمادِ ؟  
لا رِعدةً تعرفُ يديهِ إذا تملَّقه الفؤادِ ؟

---

أرأيتَ أزهارَ الربيعِ ، وقد ذوتْ أوراقها  
فهوتِ إلى صدرِ الترابِ ، وقد قضتْ أشواقها ؟

---

أرأيتَ شجورَ الفلا ، مترنماً بين الغصونِ  
جهدَ النشيدِ بصدرةِ ، لما رأى طيفَ المنونِ ؟

---

فقضى ، وقد غاضتْ أغاريدُ الحياةِ الطاهرةِ  
وهوى من الأغصانِ ، ما بين الزهورِ الباسرةِ ؟

---

أرأيتَ أمَّ الطفلِ تبكى ذلكَ الطفلَ الوحيدِ  
لما تناوله ، بعنفٍ ، ساعدُ الموتِ الشديدِ ؟

---

أسمعت نوحَ العاشقِ الوهاني ، ما بين القبور  
يمسكي حبيبته ؟ فيالمصارع الموت الجسور !

---

طفحت بأعماق الوجود سكينه الصبر الجليد  
لما رأى عدل الحياة يضمه الالحد الكنود

---

فدفقت لحناً ، يردده على سمع الدهور  
صوت الحياة بضجة . . ، تسمى على شفة البحور

---

يا شعراً ! أنت نشيدُ أمواج الخضم الساحرة  
الناصعات ، البائسات ، الراقصات ، الطاهرة

---

السافرات ، الصادحات مع الحياة إلى الأبد ؟  
كمرانس الأمل الضحوك ، يمسن ما طال الأمد

---

ها إن زهارَ الربيع تبسمت أكامها  
ترنو إلى الشفق البعيد ، تغرّها أحلامها

---

في صدرها أملٌ ، يحدق نحو هاتيك النجوم  
لكنه أملٌ ، ستلحده جبارة الوجوم

---

فلسوف تغمض جفنها ، عن كل أضواء الحياة  
حيث الظلام مُحجّم في جو ذياك السبات

---

ها إنها همست بأذان الحياة غريدها  
فتلت عصفيرُ الصباح ، صُداها ونشيدها

يا شعرُ ! أنت نشيد هاتيك الزهور الباسمة  
يا ليتنى مثل الزهور ، بلا حياة واجه

إن الحياة كثييةٌ ، مغمورة بدموعها ! !  
والشمسُ أضجرتها الأسي ، في صحوها وهجوعها

فتجرعت كأسًا دهاقا ، من مُشعشة الشفق  
فتأملت ، سكرى إلى كهف الحياة . . ولم تُفق

يا شعرُ ! أنت نحيبها لما هوت لسباتها  
يا شعرُ ! أنت صُداها ، في موتها وحياتها

انظر إلى شفق السماء ، يفيض عن تلك الجبال  
بشعاعه الخلاب ، يغمرها ببسات الجبال

فيثير في النفس الكئيبة عاصفًا لا يركد  
ويؤجج القلبَ المذبذبَ شملةً لا تخمد

يا شعرُ ! أنت جمال أضواء الغروب الساحرة  
يا همسَ أمواج المساء ، الباسماتِ الخائرة

يا نايَ أحـــــــــــــــــلامى الحبيبةِ ! يا رفيقَ صبايتى  
لولاكَ متُّ بلوعتى ، وبشــــــــــــــــقوتى ، وكآبتى  
فيك انطوتُ نفسى ، وفيكَ نفختُ كلَّ مشاعرى  
فاصدح على قمم الحياــــــــــــــــة بلوعتى ، ياطائرى

## زَيْدُ الْعَاصِفَةِ

تسألني : « مالي سكتٌ ، ولم أهبْ بقوى ، وديجورُ المصائبِ مظلمٌ »  
 « وسيل الرزايا جارفٌ ، متدفعٌ غضوبٌ ، ووجه الدهر أربدٌ ، أقمم ؟ »

\*\*\*

سكتٌ ، وقد كانت قناتي غضةً تُصيح إلى همس النسيم ، وتحلمُ  
 وقلتُ ، وقد أصغتُ إلى الريح مرّةً نجاش بها إعصاره المتهممُ  
 وقلتُ وقد جاش القريض بخاطري كما جاش صحابُ الأواذي ، أسعم :

\*\*\*

« أرى المجد معصوبَ الجبين مُجدلاً على حَسَكِ الآلام ، يغمره الدم »  
 « وقد كان وضّاح الأسارير ، باسمًا يهبُّ إلى الجُلّي ، ولا يتبرّم »

\*\*\*

« فيا أيها الظلم المصعّر خذّه رويدك ! إن الدهر يبني ويهدم »  
 « سبئار للعزِّ المحطّم تاجه رجالٌ إذا جاش الردى فهممُ همُ »  
 « رجالٌ يرون النذلّ عارًا وسبّةً ولا يرهبون الموت ، والموتُ مقدم »  
 « وهل تعلى إلا نفوسُ أبيّةٍ تصدّع أغلال الهوانِ ، وتحطّم »

## إلى الظلمية

يقولون : « صوت المستذللين خافتٌ  
وفى صنيحة الشعب المسخر زعزغٌ  
ولعأة الحق الغضوب لها صدى  
إذا التفَّ حول الحق قوم فإنه

وسمع طغاة الأرض (أطرش) أضخمُ  
تخزُّ لها شُمُّ العروش ، وتهدمُ  
ودمدمة الحرب الضروس لها فمُ  
يصرِّمُ أحداثَ الزمان ويُبزمُ

\*\*\*

لك الويل يا صرَّح المظالم من غدٍ  
إذا حطَّم المستعبدون قيودهم  
أغرَّك أن الشعب مُغضٍ على قذى  
ألا إن أحلام البلاد دفينَةٌ  
ولكن سيأتي بعد لأيٍ نشورها  
هر الحق يُغفى . . . ثمَّ ينهض ساخطا  
غدا الرُّوع ، إن هبَّ الضعيفُ بياسه ،  
إلى حيث تجنى كُفَّه بذرَّ أمسه  
ستجرع أوصاب الحياة ، وتنتشى  
إذا ماسفك الدهر من كأسه التي  
إذا صعق الجبَّار تحت قيوده

إذا نهض المستضعفون ، وصمَّوا!  
وصبُّوا حميم السخط أيبان تعلم . . !  
وأنَّ الفضاء الرَّحْبَ وسنان ، مظلم ؟  
تجمجم فى أعماقها ما تجمجم  
وينبثق اليوم الذى يترنم  
فيهدمُ ماشاد الظَّلام<sup>(١)</sup> ، ويحطمُ  
ستعلم من منَّا سيجرفه الدَّمُ  
ومزدرعُ الأوجاع لا بد يندم  
فتصغى إلى الحق الذى يتكلم  
قرارتها صابُّ مَرِيرٌ ، وعلقم  
يصيح لأوجاع الحياة ، ويفهم !!

(١) الظلام — بكسر الفاء : الظلم

## السَّامَة

سَمْتُ الحَيَاة ، وما في الحَيَاة      وما إن تَجَاوَزْتُ فِجْرَ الشَّبَابِ  
 سَمْتُ اللَّيَالِي ، وَأَوْجَاعَهَا ،      وما شَعَشَعْتُ من رَحِيقِ بَصْبَابِ  
 فحَطَّمْتُ كَأْسِي ، وَأَلْقَيْتُهَا      بوَادِي الأَسَى ، وَجَجِيمِ العَذَابِ  
 فَأَنْتَ ، وَقَدِ غَمَرْتَهَا الدَّمُوعُ      وَقَرَّرْتَ ، وَقَدِ فَاضَ مِنْهَا الحِجَابِ  
 وَأَلْقَى عَلَيْهَا الأَسَى نَوْبَهُ      وَأَقْبَرَهَا الصَّمْتُ وَالإِكْتِثَابِ

\*\*\*

فَأَيْنَ الأَمَانِي وَالْحَاسِنَاتُ؟      وَأَيْنَ الكُؤُوسُ؟ وَأَيْنَ الشَّرَابِ  
 لَقَدْ سَحَقْتَهَا أَكْفُ الظَّلَامِ      وَقَدْ رَشَقْتَهَا شَفَاؤَ السَّرَابِ

\*\*\*

فَمَا العِيشُ فِي حَوْمَةٍ بِأَسْمَا      شَدِيدَةٍ ، وَصَدَّاحِهَا لا يُجَابِ  
 كَثِيبٍ ، وَحِيدٍ بِأَلَامِهِ      وَأَحْلَامِهِ ، شَدُوهُ الإِنتِحَابِ  
 ذُوتُ فِي الرِّيْبِ عِزَّهَا      فَمَنْ ، وَقَدِ مَصَّهِنَّ التُّرَابِ  
 لَوَيْنَ النَّسُوحَ عَلى ذِلَّةٍ      وَمَنْ ، وَأَحْلَامَهُنَّ العِذَابِ  
 فَحَالَ الجَمَالُ ، وَغَاضَ العَبِيرُ ،      وَأَذْوَى الرَّدى سَحْرَهُنَّ العُجَابِ

## الحب

الحبُّ شعلة نورٍ ساحرٍ ، هبطتْ من السماء ، فكانتْ ساطعَ الفلقِ  
ومزقتْ عن جفونِ الدهرِ أغشيَّةَ وعن وجوهِ الليالي بُرُقعَ الفسقِ  
الحبُّ روحُ إلهيٍّ ، مجنحةٌ أيامه بيضاء الفجرِ والشفقِ  
يطوف في هذه الدنيا ، فيجعلها نجماً ، جميلاً ، ضحوكاً ، جدَّ مؤتلقِ  
لولاه ما سيمت في الكونِ أغنيةٌ ولا تألف في الدنيا بنو أُنقي  
الحبُّ جدولُ خمرٍ ، من تذوقه خاض الجحيمَ ، ولم يشفق من الحرقِ  
الحبُّ غاية آمالِ الحياة ، فما خوئي إذا ضنني قبري ؟ وما فرّقي ؟

## أيها الحب

أيها الحب ! أنت سر بلائي وهومي ، وروعتي ، وعنائِي  
ونحولي ، وأدمعي ، وعذابي وسقامي ، ولوعتي ، وشقائِي

\*\*\*

أيها الحب ! أنت سرّ وجودي وحياتي ، وعزّتي ، وإبائِي  
وشعاعي ما بين ديجورِ دهري وأليني ، وقرّني ، ورجائِي

\*\*\*

ياسلافَ الفؤاد ! يا سُم نفسي في حياتي يا شدتي ! يارخاني !  
ألهيبُ يثور في روضة النفس ، فيطغى ، أم أنت نور السماء ؟

\*\*\*

أيها الحب قد جرعتُ بك الحُزَّ ن كؤوسًا ، وما اقتنصتُ ابتغائي  
فبحق الجلال ، يا أيها الحد ب حنائيك بي ! وهونٌ بلائي

\*\*\*

ليت شعري ! يا أيها الحب ، قل لي : مِن ظلام خلقتَ ، أم من ضياء ؟

## الدموع

ينقضى العيش بين شوق وياس والمني بين لوعة وتأس  
هذه سنَّة الحياة ، ونفسي لاتوِّدُ الرحيق في كأس رِجس  
مليءُ الدهر بالخداع ، فكم قد ضلَّ الناسَ من إمام وقسَّ  
كلما أسأل الحياة عن الحق تكفُّ الحياةُ عن كل همس  
لم أجد في الحياة لحنًا بديعًا يستبينني سوى سكينه نفسي  
فسمت الحياة ، إلَّا غرارًا تتلاشى به أناشيدُ يأسى

\*\*\*

ناولتني الحياة كأسًا دهاقا بالأمانى ، فما تناولتُ كأسى

وسقتني من التعاسة أكوأياً تجرعتها ، فياشد تعسى !  
إن في روضة الحياة لأشواكاً بها مُزقت زنابق نفسي

\*\*\*

ضاع أمسى ! وأين منى أمسى ؟ وقضى الدهرُ أن أعيش بيأسى  
وقضى الحبُّ في سكونٍ مريعٍ ساعةً الموت بين سخط و بؤس  
لم تُخَلِّفْ لى الحياة من الأمس سوى لوعةٍ ، تهبُّ وترمى  
تمهادى ما بين غصات قلبي بسكونٍ وبين أوجاع نفسي  
كخيال من عالم الموت ، ينساب بصمتٍ ما بين رمسٍ ورمس  
تلك أوجاعٍ مهجئةٍ ، عذبتها في جحيم الحياة أطيافُ نحس

## أغنية الأجران

غنى أنشودة الفجر الضحوكُ

أبها الصــــداخ !

فلقد جرّعنى صوتُ الظلام

ألمّا علمنى كره الحياة

إن قلبي ملّ أصداء النواح

غنى ، يا صداخ !

\*\*\*

حطمت كفتُ الأسي قيثارتى  
في يد الأحمـال  
فقضت صممتا ، أناشيدُ الغرام  
بين أزهار الخريف الداوية  
وتلاشت في سكون الاكتئاب  
كصدى الغررُيد

\*\*\*

كُفَّ عن تلك الأغاني الباسمة  
أيها العصفور !  
فجأتني ألفتُ لحنَ الأسي  
من زمانٍ قد تقضى ، وعمسى  
أن يثير الشدو ، في صمت الفؤاد  
أنة الأوتار . . !

\*\*\*

لاتغيبني أغاريد الصباح  
بلبل الأفرح !  
فقوادى وهو مغمور الجراح  
بتباريح الحياة الباكية  
ليس تستهويه ألحان السرور  
وأغاني النور

\*\*\*

إنَّ مَنْ أَصْنَى إِلَى صَوْتِ التَّنُونِ  
وَصَدَى الْأَجْرَادِ  
لَيْسَ تَسْتَهْوِيهِ الْخَانُ الطَّيُورُ  
بَيْنَ أَزْهَارِ الرَّبِيعِ السَّاحِرَةِ  
وَابْتِسَامَاتِ الْحَيَاةِ ، السَّافِرَةِ  
عَنْ جَلالِ اللَّهِ !

\*\*\*

غَنَى يَا صَاحِبَ ! أَنْتَ الْجَحِيمُ  
وَاسْقِنِي الْآلَامَ  
أُزْرِعُ السَّكَّاسَ بِأَوْجَاعِ الْهَمِّ  
وَاسْقِنِي ، إِنِّي كَرِهْتُ الْإِبْتِسَامَ  
غَنَى نَدْبَ الْأُمَامِي الْخَائِبَةِ  
وَاللَّيَالِي السُّودَ

\*\*\*

غَنَى صَوْتِ الظَّالِمِ الْمَكْتُوبِ  
إِنِّي أَهْوَاهُ  
هَآكِ كَأْسِ الْقَلْبِ فَمَا لَهَا نَوَاحُ  
وَاسْكَبِ الْحُزْنَ بِهَا حَتَّى مَصْبَاحُ !  
إِنِّهَا مِنْ طِينَةِ الْحُزْنِ الْمَرِيرِ  
صَاغَهَا الْخَلَّاقُ

\*\*\*

بثت الأفراحُ ، أفراح الحياة  
إنها أحلام  
تخلب اللب بالحانِ عذاب  
وأغاريدَ ، كأملك السما  
ثم لاتلبث أن تذوي كما  
تذبل الأزهار

\*\*\*

خبريني ، ما الذي خلف الغيوم...؟  
رَبَّةَ الأحلام  
أفتى المـولِ ، وجبارُ الموم؟  
أم عروسُ الأملِ العذبِ الشroud  
تتهادى بين لألاء الصباح؟  
كملاك النور

\*\*\*

أنا في درب الحياة الغامضة  
تائهٌ ، حيران  
بينما أبصر في وجه الحياة  
ظلمة الأحزان في ظل الألم

إذ أرى في جفنها نوراً ، بديع  
باسما ، فتَّانُ

\*\*\*

ها أنا أسمع في قلب الحياة  
صِيحَةَ الألام  
مُرَّةً تنساب ، من قلب حطيم  
ملاً الحزنُ أقاصيه دمـوعُ  
ها أنا أسمع أصوات السرور  
كفَّتِ الأيام

## المجد

يوذ الفتي لو خاض عاصفة الردى      وصدّ الخميسَ المجرّ ، والأسدَ الوردَا  
ليدرك أمجاد الحروب ، ولو درى      حقيقتَها ما رام من بينها مجدًا  
فما المجد في أن تُسكرَ الأرض بالدمَا      وتركبَ في هيجانها فرسًا نهدًا  
ولكنه في أن تصدَّ بهمةً      عن العالم المرزوه ، فيض الأسي صدًا

## سر مع الدهر

سر مع الدهر ، لانصدنك الأهوال ، أو تفزعنك الأحداثُ  
سر مع الدهر ، كيفما شاءت الدنيا ، ولا يخذعنك النفاث  
فالذى يرهبُ الحياةَ شقيٌّ ، سخرتُ من مصيره الأجداث

## الذِّكْرَى

كذا كزوجي طائر ، في دوحه الحب الأمين  
تتلو أناشيد المنى بين الخائل والغصون  
متفردين مع البلابل في السهول وفي الحزون  
ملاً الهوى كأس الحياة لنا ، وشعشعها الفتون  
حتى إذا كدنا نُرشَّفُ خمرها ، غضب المنون  
فخطف الكأس الخلوب ، وحطم الجام الثمين  
وأراق خمر الحب في وادي الكتابة والأين  
وأهاب بالحبِّ الوديع ، فودع العشَّ الأمين  
وشدا بلحن الموتِ في الأفق الحزين المستكين  
ثم اختفى خلف الغيوم ، كأنه الطيف الحزين . . .

\*\*\*

يا أيها القلب الشجي ! إلام تحرسك الشجون  
رحمك قد عذبني بالصمت والدمع المتسبون

مات الحبيب ، وكل ما قد كنتَ ترجو أن يكون !  
فاصبرْ على سخط الزمان ، وما تصرفه الشئون  
فلسوفَ يُنقذك المنونُ ، ويفرح الروح السجين ...

\*\*\*

وزدُ الحياة مُرَنَّقٌ ، والموت موردُه مَعِين  
ولربَّما شاق الردى الداجي ، وأعماقُ المنون  
قلبا ، ترؤعه الحياة ، ولا تُهادنه السُّنون  
ومشاعرا حَسْرَى ، يسيرُ بها القنوط إلى الجنون

## مَنَاجَاهُ عَصْفَوِيٍّ

يا أيها الشادي الغرَّدُ ها هنا      ثَمَلًا بغبطة قلبه السرور  
 متنقلًا بين الخائل ، تاليا      وحيَ الربيع الساحر المسحور  
 غرَّدُ ، ففي تلك السهول زنابقُ      ترنو إليك بناظرٍ منظور  
 غرَّدُ ، ففي قلبي إليك مودَّةُ      لكن مودَّة طائرٍ مأسور  
 هجرته أسراب الخائم ، وانبرتُ      لعذابه جنينةُ الديجور . . .  
 غرَّدُ ، ولا ترهبُ يميني ، إنني      مثل الطيور بمهجتي وضميري  
 لكن لقد هاض التراب ملامعي      فلبتُ مثل البلبل المكسور  
 أشدو برناتِ النياحة والاسمى      مشبوبةً بعواظي وشعوري  
 غرَّدُ ، ولا تحفل بقلبي ، إنه      كالمزف ، المتحطم ، المهجور

\*\*\*

رتلُّ على سمع الربيع نشيدهُ      واصدحُ بفيضِ فؤادك للسجور  
 وانشد أناشيد الجمال ، فإنها      روحُ الوجود ، وسلوة القهور  
 أنا طائر ، متغرَّدُ ، مترنِّمُ      لكن بصوت كآبتي وزفيرى  
 يهتاجني صوتُ الطيور ، لأنه      مُتَدَفِّقٌ بحرارة وطهور  
 ما في وجود الناس من شيء به      يرزى فؤادى أو يسرُّ ضميري  
 فإذا استمعتُ حديثهم ألفتُهُ      غنا ، يفيض بركةً وفتور  
 وإذا حضرتُ جموعهم ألفتيني      ما بينهم كالبلبل المأسور

متوحِّداً بعواطفى ، ومشاعرى ،  
يَلْتَأُنِي حَرَجُ الحِياةِ كَأَنِّي  
فإِذا سَكْتُ تُضَجَّرُوا ، وإِذا نَطَقْتُ  
أَيُّ مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ بَلَّوْهُمْ  
ما مِنْهُمْ إِلا خَبِيثٌ غادِرٌ  
ويودُّ لو ملكَ الوجودَ بأَسْرِهِ  
لَيَبْلُغَ غَلَّتْهُ التي لا تَرْتَوِي  
وإِذا دَخَلْتُ إِلى البِلاَدِ فَإِنَّ أَفْكا  
حَيْثُ الطَّبِيعَةُ حَلَوَةٌ فَتَأَنُّ  
ماذا أودُّ مِنَ المَدِينَةِ ، وهى غارِقَةٌ  
ماذا أودُّ مِنَ المَدِينَةِ ، وهى لا  
ماذا أودُّ مِنَ المَدِينَةِ ، وهى لا  
ماذا أودُّ مِنَ المَدِينَةِ ، وهى مُرْتادٌ  
وخواطرى ، وكأبقي ، وسرورى  
مِنْهُمْ بوهدة جنبدل وصخور  
تذمُّوا من فِكْرَتِي وشعورى  
فقلوبهم فى وحشتى وحبورى !  
متربِّصٌ بالناسِ شَرٌّ مَصِيرٌ  
ورمى الورى فى جاحم مسجور  
ويكضُّ نَهْمَةَ قلبِهِ المَغْفور  
رى ترفرف فى سفوح الطُّور  
تختال بين تبرُّج وسففور  
بموارِ الدَّمِ المَهْدور ؟  
ترنى لصوت تَفْجُجِ المَوْتور ؟  
تَعْنُو لغير الظالم الشَّرِّير ؟  
لكل دِعارَةٍ وفجور ؟

\*\*\*

يا أَيُّها الشادى ، المغرِّد ها هنا  
قَبْلُ أَزاهير الربيع ، وغنِّها  
واشرب من النَّبْعِ ، الجليل ، الملتوى  
واتركُ دموعَ الفجرِ فى أوراقها  
فلربما كانت أنينا صاعدا  
ذرفته أجفانُ الصباحِ مداها  
ثملا بغبطة قلبه المسرور !  
رَمَمَ الصباح الضاحك المحبور  
ما بين دَوْحِ صنوبرٍ وغدير  
حتى تُرَشِّفَها عروسُ النور  
فى الليل من متوجع ، مقهور  
الأقة ، فى دوحه وزهور ...

## الطفولة

لله ما أحلى الطفولة ! إنها حلم الحياة  
عهد كعسول الزوى ما بين أجنحة السبات . . .  
ترنو إلى الدنيا ، وما فيها بعين باسمه  
وتسير في عدوات واديها بنفس حالمه . . .

\*\*\*

إن الطفولة تهتزُّ في قلب الربيع  
رَبَّانَةً مِنْ رَبِّقِ الْأَنْدَاءِ فِي الْفَجْرِ الْوَدِيعِ  
غَدَّتْ لَهَا الدُّنْيَا أَغْنَى حَبِّهَا وَحُبُّوْرَهَا  
فَتَأَوَّدَتْ نَشْوَى بِأَحْلَامِ الْحَيَاةِ وَنُورَهَا

\*\*\*

إن الطفولة حقبةٌ شعريَّةٌ بشموورها  
ودموعها ، وسرورها ، وطموحها ، وغرورها  
لم تمش في دنيا الكآبة ، والتعاسة ، والعباب  
فترى على أضوائها ما في الحقيقة من كذاب

## فَالْأَيَّامُ

يا أيها السادر في غيِّه !  
يا واقفاً فوق حطام الجباه !  
مهلاً ! ففي أنات من دستهم  
صوت رهيبٌ سوف يدوى صداه ...

\*\*\*

لا تأمننَّ الدهر ، إماً غفا  
في كهفه الداجي ، وطالت رؤاه  
فإن قضى اليومُ وما قبله  
ففي الغد الحى صباحُ الحياة

\*\*\*

يا أيها الجبار ! لا تزدري  
فاللق جبارٌ ، طويل الأناة  
يُغفى ، وفي أجنانه يقظة  
ترنو إلى الفجر الذي لا تراه ...

## المساء الحزين

أظللّ الوجودَ المساءَ الحزين ، وفي كفه معزف لا يُبين  
وفي ثقره بسمات الشجون ، وفي طرفه حسرات السنين  
وفي صدره لوعة لا تَقَرُّ ، وفي قلبه صعقات المنون  
وقبّـله قبلاً صامتات ، كما يلثمُ الموتُ وَرَدَ الفصون  
وأفضى إليه بوحى النجوم ، وسر الظلام ، ولحن السكون  
وأوحى إليه مزاميره ، فعدتُ بها في الظلام الخزون  
وعلمه كيف تأبى النفوس ، ويقضى يؤوساً لديها الحنين  
وأسمعه صرخات القلوب ، وأنهله من سلاف الشئون  
فأنغى على صدره المطمئن ، وفي رُوحه حلم مستكين  
قوى ، غلوب ، كسحر الجفون ، شجى ، لعوب ، كزهر حزين  
ضكوك ، وقد بلّته الدموع ، طروب ، وقد ظلّته الشجون  
تعاقبه سكرات الهوى ، وتمضنه شهقات الأنين  
يشابهُ رُوحَ الشـباب الجميل إذا ما تآلق بين الجفون  
أعاد لنفسى خيالاً جميلاً . . . لقد حجبتة صروف السنين  
فطافت بها هجسات الأسي ، وعادت لها خطرات الجنون

\*\*\*

أظَلَّ الفضاءُ جناحُ الغروبِ ، فألقى عليه جمالا كئيب  
وألبسه حلَّةً من جلالٍ ، شجىً ، قوىً جميلٍ ، غلوبٌ  
فنامت على العشب تلك الزهورُ لمأى المساء الحزين الرهيب  
وأبت طيور الفضاء الجميل لأوكارها ، فرحاتِ القلوب  
وقد أضمرت بأغاريدها خيالَ السماءِ الفسيحِ الرحيب  
وولَّى رعاةَ السَّوامِ إلى الحىِّ يزجونها فى صُمتِ الغروب  
فتتغوّ ، حينئذٍ لحملاتها ، وتقطفُ زهرَ المروجِ الخضيب  
وهم ينشدون أهازيجهم بصوت ، بهيجٍ ، فرُّوحٍ ، طروب  
ويستمنحون مزاميرهم ، فتمنحهم كلَّ لحنٍ عجيب  
تطير به نسماتُ الغروبِ إلى الشفقِ المستطير الخلوب  
وتوحى لهم نظراتُ الصبايا أناشيد عهد الشباب الرطيب  
وأقبل كلٌّ إلى أهله ، سوى أملي ، المستطار ، الغريب  
فقد تاه فى مَعَسَباتِ الحياة ، وسُدَّتْ عليه مناخى الدروب  
وظلَّ شريداً ، وحيداً ، بعيداً ، يغالب عُنفَ الحياة العصيب  
وقد كان من قبلُ ذا غبطةٍ ، يرفرف حول فؤادى الخصيب

\*\*\*

ولمَّا أظَلَّ المساءُ السماءَ ، وأسكر بالحزن روحَ الوجودِ  
وقفت ، وساءلته : « هل يؤوب لقلبي ربيعُ الحياة الشَّردُ ؟ »  
« فتخفقُ فيه أغاني الورود ، ويخضرُ فردوسُ نفسى الحصيدُ ؟ »

« وتحتال فيه عروس الصباح ، وتمرح نشوى بذاك النشيد ؟ »  
« ويرجع لى من عراض الجحيم سلامُ الفؤاد ، الجميل ، المهيد ؟ »  
« فقد كَبَلَتْه بناتُ الظلام ، وألقينَه فى ظلام اللحود ؟ »  
فأصغى إلى آهِنِي المستمرِّ ، وخاطبني من مكانٍ بعيد :  
« تعودُ أذْ كاراتُ ذك الهوى ، ولكنَّ سحر الهوى لا يعود »  
فجاشتُ بنفسي مآسى الحياة ، وسخطُ القنوط القويِّ المرِيد  
ولمَّا طفتُ عصفاً القنوط فادتُ بكلِّ مكين ، عتيد  
أهبت بقاى ، الهلوع ، الجزوع ، وقد كان من قبلُ جلدًا ، شديد :  
« تجلِّدُ ، ولا تستكنُ لليالى ، فما فاز إلاَّ الصبورُ ، الجليد »  
« ولا نأسَ من حادثات الدهور ، فحلف الدياتير فجرٌ جديد »  
« ولولا غيومُ الشتاء الغِضابُ لما نضدَّ الروضُ تلك الورود »  
« ولولا ظلام الحياة العبوسُ لما نسجَ الصبحُ تلك البرود »

## بِقَايَا الْخَرْيْفِ

كرهتُ القصورَ ، وقطانَهَا ، وما حولَهَا من صراعٍ عنيفٍ  
وكيدِ الضعيفِ لسعي القويِّ ، وعصفِ القويِّ بجهدِ الضعيفِ  
وجاشتِ بنفسى دموعِ الحياةِ ، وعيجتُ بقلبي رياحِ الصروفِ  
لقلبِ الفقيرِ الحطيمِ ، الكسيرِ ودمعِ الأيامِ السفيحِ الذريفِ  
وتَوَحَّحَ اليتامى على أمهاتِ ، توارَيْنَ خلفِ ظلامِ الختوفِ  
فسرتُ إلى حيثِ تأوى أغاني الربيعِ ، وتذوى أمانى الخريفِ  
وحيثِ الفضا شاعرٌ ، حالمٌ ، يناجى السهولِ بوحى ، طريفِ  
وقد دثرتَه غيومُ المساءِ بظلالِ ، حزينِ ، ضريحِ ، شفيفِ  
وبينِ العصونِ التي جردتها ليلالى الخريفِ ، القويِّ العسوفِ  
وقفتُ ، وحولى غدِيرٌ ، مواتٌ ، تبادتْ به غفواتُ الكهوفِ  
قضتُ فى حفافِيه تلكَ الزهورِ ، فكففتُ بالصقيعِ الخريفِ  
سوى زهرةٍ شقيتْ بالحياةِ ، ومَلَبَّتْهَا بالمقامِ الخفيفِ  
بروعها فيه قصفُ الرعودِ ، ويحزنُها فيه نذبُ الزيفِ  
ويَنْتَابُهَا فى الصباحِ السديمِ ، وفى الليلِ حلمٌ ، مريعٌ مخيفِ  
وترْهَبُهَا غادياتِ الغمامِ ، وتؤلِّمُها كلُّ ربحِ عصفوفِ  
فترنولُما حولها من زهورِ ، ومائمٌ إلا السحيقُ ، الجفيفِ

فتبكي بكاء الغريب ، الوحيد ، بشجورٍ كظيمٍ ، ونوحٍ ضعيف  
تباكي به لبها المستطار ، وترثى به ما طوته الختوف  
وتشكو أساها بياض النهار ، وتندبُ حظَّ الحياة السخيف  
ولسكن لقد فقدت في الوجود رفيقاً مُصيخاً ، وقلباً رءوف  
فأتمم إلا الصخورُ القواسي ، وإلا الصدى المستطارُ الهتوف  
فجادت بروحٍ شقيّةٍ ، شجيّةٍ ، لقد عدّته الليالي صنوف  
وماتت ، وقد غادرتها بقاعٍ من الأرض صنك ، حياة الصروف  
فبانّت حبال الغدير الأصمّ ، وقد أخرس الموتُ ذلك الحفيف  
وقد خضبتُها غيومُ المساء ، كغانيةٍ ضرّجتها السيوف

فسلّها : « ترى كيف غاض الأريج ؟ وكيف ذوى سحرُ ذلك الرفيف ؟ »  
« وكيف خبّتُ بسماتُ الحياة بأجفانها ، وعراها الكسوف ؟ »  
« وكيف لوتُ جيدها الحدثاتُ وألوتُ بذاك القوام اللطيف ؟ »  
ذكرت بمضجها المطمئنِّ ومرقدها في السّفير الجفيف  
مصارعَ أمالي الغابرات وخيبتّها في الصراع العنيف  
فقلّبتُ طرفي بهوى الزهور وصعدته في الفضاء الأسيف  
وقلت : « هو الكونُ مهْدُ الجمال ولسكن لكل جمالٍ خريف !... »  
وأطرقتُ ، أصغى لهمس الأسي وقد غشيَ النفسَ همٌّ كثيف  
وغاضتُ ثمالةً نور النهار وأرّخى ظلامُ الوجود السجوف

## أَغْنِيَةَ الشَّاعِرِ

يَا رَبَّةَ الشَّعْرِ والأَحْلَامِ ، غَنِّينِي  
 إِنْ اللَّيَالِي اللُّوَانِي ضَمَّتْ كَبِدِي  
 نَاخَتْ بِنَفْسِي مَآسِيهَا ، وَمَا وَجَدْتُ  
 وَهْدًا مِنْ خَلْدِي نَوْحٌ ، تَرْجَعُهُ  
 عَلَى الْحَيَاةِ أَنَا أَبْكِي لَشِقْوَتِهَا  
 يَا رَبَّةَ الشَّعْرِ ، غَنِّينِي ، فَقَدْ ضَجَرْتُ  
 تَبَرَّمْتُ بَيْنِي الدُّنْيَا ، وَأَعْوَزَهَا  
 وَرَاحَةَ اللَّيْلِ مَلَأْتِي مِنْ مَدَامِعِهِ  
 فَهَلْ إِذَا لُدَّتْ بِالظُّلَمَاءِ ، مَنْتَحِبًا  
 يَا رَبَّةَ الشَّعْرِ ! إِنِّي بَاسٌ ، تَعَسُّ  
 وَفِي يَدَيْكَ مَزَامِيرٌ يَخَاجِلُهَا  
 وَرَتَّلِي حَوْلَ بَيْتِ الْحُزْنِ أَغْنِيَةَ  
 فَإِنَّ قَلْبِي قَبْرٌ ، مَظْلَمٌ ، قُبِرْتُ  
 لَوْلَاكَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لِمَا لَمَسْتُ  
 وَلَا تَغْنَيْتُ مَاخُودًا . . . ، وَلَا عَذُبْتُ  
 وَلَا أَصْنَعْتُ إِلَى الْأَصْدَاءِ ، رَاقِصَةً  
 وَلَا أَزْدِيهِ النَّفْسَ فِي أَشْجَانِهَا شَفِيقٌ  
 وَلَا اسْتَخَفَّ حَيَاتِي ، وَهِيَ هَائِمَةٌ

فَقَدْ سَمْتُ وَجُومَ الْكُونِ ، مِنْ حِينِ  
 بِالسَّحْرِ أَضَحْتُ مَعَ الْأَيَّامِ تَرْمِينِي  
 قَلْبًا عَطُوفًا يُسَلِّمُهَا ، فَعَزَّيْنِي  
 بَلَوَى الْحَيَاةَ ، وَأَحْزَانُ الْمَسَاكِينِ  
 فَمَنْ إِذَا مَتُّ بِبِكَيْهَا وَيَبْكِينِي ؟  
 نَفْسِي مِنَ النَّاسِ أَبْنَاءِ الشَّيَاطِينِ  
 فِي مَعْرِفِ الدَّهْرِ غَرِيدِ الْأَرَابِينِ  
 وَغَادَةَ الْحُبِّ تُكَلِّئِي ، لَا تَغْنِينِي  
 أَسْلُو ؟ وَمَا نَفَعُ مَحْزُونٍ لِمَحْزُونٍ ؟  
 عَدِمْتُ مَا أُرْتَجِي فِي الْعَالَمِ الدُّونِ  
 وَحَى السَّمَاءِ ؛ فَهَانِيهَا ، وَغَنِّينِي  
 تَجَلُّوْا عَنِ النَّفْسِ أَحْوَانَ الْأَحْيَانِ  
 فِيهِ الْأَمَانِي ، فَمَا عَادَتْ تَدَاغِينِي  
 أَوْتَارَ رُوحِي أَصْوَاتُ الْأَفَاقِينِ  
 لِي الْحَيَاةُ لَدَى غَضِّ الرِّيَاحِينِ  
 بَيْنَ الْكُهُوفِ ، عَلَى عَرْفِ الشَّيَاطِينِ  
 يُلَوِّنُ الْغَيْمَ لَهْوًا أَيْ تَلْوِينِ  
 فَجَرُّ الْهَوَى فِي جُفُونِ الْخُرَدِ الْعَيْنِ

## في 'فجج الآلام'

يا لابتسامة قلبٍ مطلولةٍ بدموعه  
غاضت ، فلم تبق إلاّ الدموع بين صدوعه  
فظلّ بهتف من شجورٍ ، وفرطٍ ولوعة  
« وينح الحياة ! أما تنقضى لديها الرزايا ؟ ! »  
« أما يكفكف هذا الزمانُ صوبَ البلايا ؟ ! »  
« يادهرُ ! رفقا ! فإن القلوب أمست شظايا »

\*\*\*

يا قلب نهته دموعَ الأسي ، ولوعة روعك  
إن الدهور البواكي غنيّةٌ عن دموعك  
حسبُ الحياة أساها فاطو الأسي في صدوعك  
واحلم بفجر الليالي . . ، فقجرها في هجوعك  
وإن غفوت فإنّ الحياة ليست تروحك  
وسوف يمضى شتاء الأسي ، ويأتي ربيعك

\*\*\*

بين القبور فتاةٌ جارَ الزمانِ عليها  
فافتك منها بعنفٍ كف الردى أوبئها

تقول والليل ساج والقبر مصغ إليها :  
« يا ليتني متُّ من قبل أن تسوء حياتي »  
« وينضب الدمع من لوعتي ، ومن حسراتي ! »  
« مَنْ لِي بِمُحْفَرَةِ قَبْرِ تَضْمُنِي وَشَكَاتِي ! »

\*\*\*

في الحيِّ صبُّ يعانى في الصدر داءً دفيناً  
وفي الفؤاد جوِّى كما مناً وحبّاً مكيناً  
حتى دهته الليالى وجرّعتهُ منونهُ  
فشيّع الميتَ جمعٌ من حيّه ، يندبونهُ  
حتى إذا ما أرادوا رصف الصفايح دونهُ  
ناجت عليه فتاة : « ويلي ! لمن تتركونه ! »

\*\*\*

كان الصبيُّ يصيد الفراش بين الزهور  
فداسَ زهراً ندباً ألقى به في القدير  
فأخرجوه ، ولكن بعد القضاء الأخير . . .  
فخرّت الأم حول الصبيِّ ، تصرخ : « ويلي ! »  
فقلت ، والقلب دائم والناس يبكون حولي :  
« ما أسخف العيش تقضى عليه زلّة نعل ! »

\*\*\*

شيخ ، شاء دهر الأسي ، وحيدٌ شيتُ  
 بين الخرائب يُمسي على الطوى ، وبيتُ  
 في ظلمة الليل فاضت على الوجود حياتهُ  
 وطرفهُ يرمق النجمَ ملوهُ — براتهُ  
 وما حوائيه إلا الخرابُ يُشجى صماتهُ  
 فما بكاه فتاه ولا بكته فتاتهُ

\*\*\*

يازهر — رة سأمها العابرون خسفاً وهوناً!  
 لو كنتِ شوكةً عضوضاً ماداسك العابرونا  
 لأنهم يجهلون الوحي الذي تُضمرينا  
 هم يسخرون بهمس الزهور ، وهو بديعُ !  
 ويُصتون لصوت الأشواك ، وهو مُريعُ !  
 فلا تبالي بقوم الحق فيهم صريعُ

\*\*\*

ربّاه ! كم من فتاة ، تشكو الحياة وتبكي ،  
 ومُعديم ، بوائتُهُ الدهورُ مقعدٌ ضنكُ  
 ويأسٍ مات في لُبِّه المرام الوحي — دُ  
 وتائه ، ضاع بين القفار ، وهو فريدُ

حتى طوته من العاصفات ریح شَرُودُ  
ربّاه ! رُحماك إن الزّمان فضُّ شديدُ

\*\*\*

يا طائرَ الشمر ! رُوِّحْ على الحياة الكئيبة  
وامسحْ بربشك دمعَ القلوبِ ، فهي غريبة  
وعزّها عن أساها فقد دعتها المصيبة  
وأنتَ روحٌ جميل ، بين الهضاب الجديدة  
فانفتحْ بها من لهيب السماء رُوْحًا خضيبه  
وابعثْ بســـــــــحرك في قلبها ضرامَ الشيبه

## جَدْوَلُ الْحَبِّ

بين الأمس واليوم

بالأمس قد كانت حياتي كالسماة الباسمة  
واليوم ، قد أمسب كأعماق الكهوف الواجمة  
قد كان لى ما بين أحلامي الجميلة جدول  
يجرى به ماء المحبة طاهراً ، يتسلسل  
تسعى به الأمواج باسمه كأحلام الصبا  
بيضاء ، ناصعة ، ضحوكاً مثل أزهار الربى  
ميامسة كعرائس الفردوس بين حُقوله  
تتلو أناشيد المعنى فى مدّه ، وقُفوله

\*\*\*

هُوَ جَدْوَلُ الْحَبِّ الَّذِى قَدْ كَانَ فِى قَلْبِى الْخَضِيزُ  
بِمِرَاشِفِ الْأَحْلَامِ مَنْطَلِقاً ، بِسِيرِ عَلَى مَهَلٍ  
يَتَلَوُ عَلَى سَمْعِى أَغَارِيدَ الْحَيَاةِ الطَّاهِرَةِ  
وَيُبَيِّرُ فِى قَلْبِى أَنْشِيدَ الْخُلُودِ السَّاحِرَةِ  
تَقْفُ الْعِذَارَى الْخَالِدَاتُ . . . عِرَائِسُ الشَّعْرِ الْبَدِيعِ  
فِى ضَفْتَيْهِ ، مُرَدَّدَاتِ نِعْمَةِ الْحَلْمِ الْوَدِيعِ

يلمس من قيثارة الأحلام أوتار الغزل  
فتفيض ألحانُ الصباية عذبةً ، مثل الأمل  
وتطير بالسمات والأنعام أجنحةُ الصدى  
في ذلك الأفق الجميل ، وذلك النسم الرُخا  
وهناك حيث تُعانق السماتُ أنغامَ الغزل  
يتمايل الحلمُ الجميل . . . كبسمة القلب السَّيل

\*\*\*

هُوَ جَدولٌ ، قد فِجَّرتَ يَنْبوعَهُ في مهجتي  
أجفانُ فاتنةٍ أرْتَنِها الحياة ، لشقوتي  
أجفانُ فاتنة ، تراءتْ لي على فجرِ الشباب  
كعروسة من غانيات الشعر ، في شفقِ الحساب  
ثم اختفت خلف السماء ، وراء هاتيك الغيوم  
حيث العذارى الخالداتُ ، يَمْسَنَ ما بين النجوم  
ثم اختفت ، أوَّاه ! طائِرةٌ بأجنحة المنون  
نحو السماء ، وها أنا في الأرض تمثال الشجون  
قد كان ذلك كله بالأمس ! بالأمس البعيد . . .  
والأمس قد جرفته مقهوراً يدُ الموت العتيد  
قد كان ذلك تحت ظل الأمس ، والماضي الجميل  
قد كان ذلك في شعاع البدر من قبل الأفول

واليوم إذ زالت ظلال الأمس عن زَهْرَى البديع  
وتَجَلَّبَبَ الزهرُ الجميلُ بظلمة الليل المريع  
ذبلت مراشقهُ ، فأصبح ذاوياً ، نضو الكلوم  
وهوى لأنَّ الليلَ أسمعهُ أناشيد الوجوم . . .

\*\*\*

بالأمس قد كانت حياتي كالسماة الباسمة  
واليوم قد أمست كأعماق الكهوف الواجمة

\*\*\*

إذ أصبح النبع الجميل يسير في وادى الألم  
متعترًا بين الصخور ، يغور في تلك الظلم  
جفت به أمواج ذبّاك الغرام الآفل  
فندفقت فيه الدموعُ بصوبها المتهاطل  
قد حجبتهُ غيوم أحزان الوجود القائمة  
قد أخرسته مرارة القلب التعميس الظالمه  
جمدتُ على شفقيهِ أنغام الصبابة والهوى  
وقضتُ أغاني الحب ، في أعماقه ، لما هوى  
وغدت به الأمواجُ ، جامدةً الملامح ، قائمه  
قد أسكنتها لوعة الرُّوح الحزين ، الواجمة  
غاضت أمانيتها ، وغار بها الجمال الساحر

فأصابها - كهفًا عليه - الإكثابُ الكافرُ  
في ضفتيه عرائسُ الأشعار تنصب مآتما  
يهرقن فيه الدمعُ ، حتى يلطم الدمعُ الدما  
فيسيل ذلك الدمعُ الدّامى لقلب الجدول  
حيث المرارةُ ، والأسى ، بين الزهور الذّبل  
وينحن حتى يُفعم الأفاقَ صوتُ الإنتحاب  
فتسير أصداء النياحة نحو أطباق الضّباب  
وهناك ما بين الضباب الأقم الساجى الكئيبُ  
تهتزُّ آلامى ، وتخلج السكّابةُ ، بالنعيب

## يَارْفِيقِي

يارفيقي! وأين أنت؟ فقد أعمت جفوني عواصف الأيام  
ورمتهني بهميه، قائم، قفز، تُغشيه داجياتُ الغمام . .  
خذُ بكفِّي، وغنّني، يارفيقي، فسبيل الحياة وعمرُ أُمّاي  
كلّما سيرتُ زلَّ بي فيه مهوى، تتضاغى به وحوشُ الحمام  
شعبته الدهور، وانطمسَ النور، وقامت به بنات الظلام  
راقصات، يُجَلِّينَ في حلكِ الليل، ويلعبن بالقلوب الدوامي  
غنّني، فالغناء يذراً عنّا ساحرَ الجنّ ..، ساكنَ الآجام..

\*\*\*

قد تفكّرتُ في الوجود، فأعياني، وأدبرتُ آيسًا لظلامي  
أنشدُ الراحةَ البعيدة، لكن خاب ظني وأخطأت أحلامي  
فمعي في جوانحي أبدَ الدهر فوادٌ إلى الحقيقة ظامي  
ما تراخي الزمانُ إلّا وألّقي في طواياه قبضةً من صرام  
تنلّقي، يد الحياة، وزادت مُعضلاتُ الدهور والأعوام  
أظلماتُ مهجتي الحياة، فهل يوماً تبُلُّ الحياة بعض أُمّاي؟  
يارفيقي! ما أحسبُ المنيعَ للنشودِ إلّا وراءَ ليلِ الرّجام

غَنِّي ، يَا أَخِي ، فَالْكُونُ تَبْهَاهُ ، بِهَا قَدْ تَمَزَّقتْ أَقْدَامِي  
غَنِّي ، عَلَيَّ أَنْيَمٌ هُمُومِي ، إِنِّي قَدْ مَلتْ مِنْ تَهْيَامِي

\*\*\*

يارفيقي ! أما تفكرتَ في الناس ، وما يحملون من آلام ؟  
فلقد حزَّ في فؤادي ما يَلْقَوْنَ من صولة الأسي الظلام  
فإذا سرَّني من الفجر نورُ ساءني ما يُسرُّ قلبُ الظلام  
كم بقلب الظلام من أنفة تهفو بغصات صبيبة أيتام  
ونشيجٍ مُضَرَّمٍ من فتاةٍ ، أبهظتها قوارع الأيام  
ونوايحٍ يفيضُ من قلب أمِّ فُجعتٍ في وحيدها البسام ،  
فطمَّ الموتُ طفلها ، وهو نورٌ في دجائها ، من قبل عهد القطام  
وأنينٍ من معدم ، ذى سقام ، عضه الدهر بالخطوب الجسام  
ما إخال النجوم إلاَّ دموعًا ، ذرقتها محاجر الأعوام  
فلقد ضرَّم الشجونَ بنوها ، فاذا بالشجون سبيل طام  
وإذا بالحياة في ملعب الدهر تدوس الرؤوس بالأقدام  
وإذا الكون فلذة من جحيمٍ ، تنغذى بكل قلبٍ دام  
وهمُّ في جحيمهم يتناغون بما في الوجود من أنعام !  
عجبًا للنفوس ، وهي بواكٍ ، عجبًا للقلوب ، وهي دوام  
كيف تشدو وفي محاجرها الدمع ، وتلهو ما بين سوادِ المواهي ؟!

\*\*\*

يارفيقى ! لقد ضللتُ طريقى ، ونحطتُ مَحَجَّتِي أقدامى  
خذ بكفى ، فإننى تائهٌ ، أعمى ، كئيبُ الضلال والأوهام  
وانفخ النَّايَ ، فالحياةُ ظلامٌ ، ما لمرتاده من الهولِ حام  
مِلء آفاقه فحيحُ الأفاعى ، وعجيجُ الآنام والآلام  
فانفخ النَّايَ ، إنه هبةُ الأملِك للمسـتميد بالإلهام  
واغذِ السَّيرَ ، فالنهارُ بعيدٌ ، وسبيلُ الحياةِ جَمُّ الظلامِ ...

## إِلَى الْمَوْتِ

صبيّ الحياة ، الشقيّ العنيدُ ألا قد ضلّت الضلالَ البعيدُ !  
أتُنشدُ صوتَ الحياةِ الرخيمِ ، وأنت سجينٌ بهذا الوجودُ ؟ !  
وتطلبُ وَرْدَ الصباحِ المُخضَّبِ من كَفِّ حَقيلٍ ، جديبٍ ، حصيدُ ؟ !  
إلى الموتِ ! إن شئتَ هَوَّنَ الحياةَ ، لخلفِ ظلامِ الردى ما تريد ..

\*\*\*

إلى الموتِ ! يا ابن الحياةِ التعميسَ ، ففي الموتِ صوتُ الحياةِ الرخيمِ  
إلى الموتِ ؟ إن عذبتك الدهورُ ، ففي الموتِ قلبُ الدهورِ الرخيمِ  
إلى الموتِ ! فالموتُ رُوحٌ جميلٌ ، يرفرفُ من فوقِ تلكِ الغيومِ  
فروحًا بفجرِ الخلودِ البهيجِ ، وما حوله من بناتِ النجومِ ...

\*\*\*

إلى الموتِ ! فالموتُ جامٌ رويٌّ لمن أظمأته سَمُومُ القلاةِ  
ولستَ براوٍ - إذا ما ظمئتَ - من المنبعِ العذبِ قبلِ الماتِ  
فما الدمعُ إلا شرابِ الدهورِ ، وما الحزنُ إلا غذاءُ الحياةِ  
إلى الموتِ ! فالموتُ مَهْدٌ وثيرٌ ، تنامُ بأحضانهِ الكائناتِ

\*\*\*

إلى الموت ! إن حاصرتك الخطوبُ ، وسدَّتْ عليك سبيلَ السلامِ  
ففي عالم الموت تنضو الحياةُ رداءَ الأسمى ، وقناعَ الظلامِ  
وتبدو ، كما خُلِقَتْ ، غَضَّةً يفيض على وجهها الابتسام  
تعيدُ عليها ظلالَ الخلود ، وتهفو عليها قلوبُ الأنام

\*\*\*

إلى الموت ! لا تخشِ أعماقه ، ففيها ضياءُ السماءِ الوديعِ  
وفيه تيمس عذارى السماء ، عوارى ، ينشدن لحناً بديع ...  
وفي راحهنَّ غصونُ النخيلِ يحرُّ كُنْها في فضاءٍ يَضوع ...  
تضىء به بسمات القلوب ، وتخبو به حشرات الدموع

\*\*\*

هو الموت طيفُ الخلودِ الجميلُ ، ونصف الحياة الذي لا ينوحُ  
هنالك ... خلف الفضاء البعيد ، يعيش المنونُ القويُّ الصُّبوحُ  
يضمُّ القلوب إلى صدره ، ليأسوا ما مضى من جروح  
ويبعثَ فيها ربيعَ الحياة ، ويهجهما بالصباح الفروح

## إلى عازفٍ أعمى

أدركتَ فجرَ الحياةِ أعمى      وكنتَ لا تعرفُ الظلامَ  
فأطبقتَ حولك الدَّيَاجي      وغام من فوقك الغمام  
وعشتَ في وحشةٍ ، تقاسي      خواطراً ، كلها ضرام  
وغربةٍ ، ما بها رفيق      وظلمةٍ ، ما لها ختام  
تشقُّ تيهَ الوجودِ فرداً      قد عضَّك الفقر والسقام  
وطاردتَ نفسك المآسى      وفرَّ من قلبك السلام

\*\*\*

هوَّنَ على قلبك المعنى      إن كنتَ لا تبصر النجومَ  
ولا ترى الغابَ ، وهو يلمو      وفوقه تخطر الغيوم  
ولا ترى الجدولَ المعنى      وحوله يرقص الغميم  
فكلُّنا بأَس ، جدير      برأفة الخالق العظيم  
وكلُّنا في الحياةِ أعمى      يسوقه زعزعُ عقيم  
وحوله تزق المنايا      كأنها جِنَّة الجحيم :

\*\*\*



يا صاح ! إن الحياة قفرٌ  
لا يجتنى الطَّرْفُ منه إلا  
وأسعد الناس فيه أعمى  
ولا يرى أنفَسَ البرايا  
فاحمد إله الحياة ، واقنع  
وعيش ، كما شامت الليالي  
مروِّعٌ ، ماؤه سراب  
عواطفَ الشوك والتراب  
لا يبصر الهول والمصاب  
تذوب في وقْدَةِ العذاب  
فيها بألحانك العذاب  
من آهة النَّأى والرَّباب

## صَوْتٌ تَائِهٌ

قَضَيْتُ أَدْوَارَ الْحَيَاةِ ، مَفْسُكِرًا ، فِي السَّكَاثَاتِ ، مَعْدَبًا ، مَهْمُومًا  
 فَوَجَدْتُ أَعْرَاسُ الْوُجُودِ مَا تَنَاءً وَوَجَدْتُ فِرْدَوْسَ الزَّمَانِ جَحِيمًا  
 تَدْوِي مَخَارِمُهُ بِضِجَّةِ صِرَاصِيرٍ ، مَشْبُوبَةٌ ، تَدْرُ الْجِبَالَ هَشِيمًا  
 وَحَضَرْتُ مَائِدَةَ الْحَيَاةِ ، فَلَمْ أَجِدْ إِلَّا شَرَابًا ، آجِنًا ، مَسْمُومًا  
 وَنَفَضْتُ أَعْمَاقَ الْفِضَاءِ ، فَلَمْ أَجِدْ إِلَّا سَكُونًا ، مُتَعَبًا مَحْمُومًا  
 تَتَبَخَّرُ الْأَعْمَارُ فِي جَنَابَاتِهِ وَتَمُوتُ أَشْوَاقُ النُّفُوسِ وَجُومًا  
 وَبَلَسْتُ أَوْتَارَ الدَّهْوَرِ ، فَلَمْ تَفِضْ إِلَّا أَنْيْنَا ، دَامِيًا ، مَكْلُومًا  
 يَتَلَوُ أَقَاصِيصَ التَّمَاعِيسَةِ وَالْأَسَى وَيَصِيرُ أَفْرَاحَ الْحَيَاةِ مَهْمُومًا

\*\*\*

شُرِّدْتُ عَنْ وَطَنِي السَّمَاوِيِّ الَّذِي مَا كَانَ يَوْمًا وَاجِمًا ، مَغْمُومًا  
 شُرِّدْتُ عَنْ وَطَنِي الْجَمِيلِ . . ، أَنَا الشَّقِيّ ، فَعَشْتُ مَشْطُورَ الْفُؤَادِ ، يَتِيًا . . .  
 فِي غُرْبَةٍ ، رُوحِيَّةٍ ، مَلْعُونَةٍ أَشْوَاقَهَا تَقْضِي ، عِطَاشًا ، هِيمًا . . .  
 يَا غُرْبَةَ الرُّوْحِ الْمَفْكَرِ ! إِنَّهُ فِي النَّاسِ يَحْيَا ، سَائِمًا ، مَسْثُومًا  
 شُرِّدْتُ لِلدُّنْيَا . . ، وَكَلَّتْ تَائِهَةٌ فِيهَا بُرُوعٌ رَاحِلًا وَمَقِيًا

يدعو الحياة، فلا يُجيبُ سوى الردى      ليدُسَّه تحت التراب رَمِيَا  
وتظل سائِرةً ، كأنَّ فقيدَها      ما كان يومًا صاحبًا وحميَا !

\*\*\*

يا أيُّهَا السارى ! لقد طال الشرى      حتَّى امَّ ترقب في الظلام نجومًا . . ؟  
أتحالُ في الوادى البعيدِ المرْتَجَى؟      هيهات ! لن تلقى هناك مرُوما  
سرٌّ ما استطعت ، فسوف تُلقِي -      مثلما  
خَلَّفَت -      تمشوقَ الفصون حطيمًا

## نشيد الأسي

يا ليت شعري ! هل ليل النفس من صبح قريب ؟  
فتقر عاصفة الظلام ، ويهجع الرعد الغضوب  
ويرتل الإنسان أغنية مع الدنيا ، طروب

\*\*\*

ما للرياح تهب في الدنيا ، ويدركها اللغوب  
إلا رياحي ، فهي جامحة ، تمردها عصب ؟  
مالي تعذبني الحياة كأنني خلق غريب ؟  
وتهد من قلبي الجميل ؟ فهل لقلبي من ذنوب ؟  
وإذا سألت : « لم الوجود ، وكله هم مذيب ؟ »  
قالت : « نواميس السماء قضت ، ومالك من هروب ؟ »  
آه على قلبي ! وإن شقيت كشموته قلوب  
أنقى من الموج الوضىء ، ومن نشيد العندليب  
لم تقترف إثم الحياة ، وكان مأواها اللهب

\*\*\*

يا مهجة الغاب الجميل ألم يصدعك النحيب ؟  
يا وجنة الورد الأنيق ألم تشوهك الندوب ؟

يا جدولَ الوادى الطروبَ ألم يرتكك القطوب ؟  
 يا غيمةَ الأفق الخضيب ألم تترقك الخطوب ؟  
 يا كوكبَ الشفق الضحوكَ أما ألم بك الشحوب ؟  
 ها أنت ذا فى الأفق تضحك ، لاتهمم ، ولا نخيب  
 تُلقني على قنن الجبال رداء لآلاء قشيب  
 لتنام أوراد الجبال الشمم ، فى مهدي عجيب  
 ولكى تغنيك الجداولُ لحنها العذب الحبيب  
 وترى جمالك من بنات الغاب معطرًا ، أعوب  
 معشوقةً ، فى فرعها تاج من الورد الخضيب  
 تتلو أناشيدَ الربيع ، كأنها نجوى القلوب  
 يا كوكبَ الشفق الضحوك ! وأنت مُبتهلُ الكئيب  
 لُح فى السماء ! وغنَّ أبناء الشقاوة والخطوب  
 أنشودةً تهبُّ العزاء لسكل مُبتئسٍ غريب  
 فالطير قد أغفت ، وأسكت صوتها الليلُ الهبوب  
 وابتسط جناحك فى الوجود ، فإنه عذب ، خلُوب  
 متألِّق بين النجوم ، كأنه حلم طروب  
 وانشر ضياءك ساطعًا ، ليُنيرَ أعماق القلوب  
 فملى جوانبها من الأحزان ديمجور رهيب

\*\*\*

ما للمياه نقيّةٌ حوْلِي ، وَيَنْبُوْعِي مَشُوبٌ ؟  
 ما للصباح يعودُ للدنيا ، وَصُبْحِي لا يُؤوبُ ؟  
 ما لي يَضِيقُ بِنَا الوِجُودِ ، وَكُلُّ ما حوْلِي رَحِيبٌ ؟  
 ما لي وَجِئْتُ وَكُلُّ ما فِي الغابِ مَفْتَرِدٌ طُروبٌ ؟  
 ما لي شَقِيتُ ، وَكُلُّ ما فِي السَّكُونِ أَحَادٌ عَجِيبٌ :  
 فِي الأَرْضِ أَقْدَامُ الرِّيعِ تَلَامَسُ السَّهْلَ الجَدِيبِ  
 فَإِذَا بِهِ يَحْيَا ، وَيَنْبِتُ رَائِقُ الزَّهْرِ الرَطِيبِ  
 وَهناكُ أَنْوارُ النِّهارِ تُطَلُّ مِنْ خَلْفِ الغُروبِ  
 فَتَخْضَبُ الأمْواجُ ، وَالآفاقُ ، وَالجِبَلُ الخَضِيبِ  
 إِنَّ الوِجُودَ الرَّحْبَ ، وَالغاباتِ ، وَالأفْقَ الخَضِيبِ  
 لَمْ تَحِبُّ أَشْواقَ الحِياةِ بِها ، فغادَراها القُطُوبِ  
 أَمّا أَنَا فَفَقَدْتُها ، وَاللَّيْلَ مَرَبِّدٌ ، رَهيبِ  
 وَالرَّيْحُ تَعْصِفُ بِالوَرُودِ .. ، فَعَشْتُ سَخْرِيَةَ الخُطُوبِ ...

\*\*\*

مَهْمَا تَضاحَكَتِ الحِياةُ فَإِنِّي أبدأُ كَثِيبِ  
 أَصغِي لأَوْجاعِ السَّكابةِ ، وَالسَّكابةُ لَأَنْجِيبِ  
 فِي مَهجَتِي تَتَأَوَّهُ البُلُوبُ ، وَيَعْتَلِجُ النَّعِيبِ  
 وَيَضِجُ جَبَّارُ الأَمِيِّ ، وَتَجْمِشُ أمْواجُ السَّكْرُوبِ  
 إِنِّي أَنَا الرُّوحُ الَّذِي سَيَظِلُّ فِي الدُّنْيا غَرِيبِ  
 وَيَعِيشُ مَضْطَعاماً بِأَحْزانِ الشَّبِيبَةِ وَالْمَشِيبِ

## قلت للشعر

أنت يا شعر ، فلذة من فؤادي      تتغنى ، وقطعة من وجودي  
 فيك ما في جوانحي من حنينٍ      أبديٍّ إلى صميم الوجود  
 فيك ما في خواطري من بكاء      فيك ما في عواطف من نشيد  
 فيك ما في مشاعري من وُجومٍ      لا يغنى ، ومن سرور عهيد  
 فيك ما في عوالمى من ظلامٍ      سرمدى ، ومن صباحٍ وليد  
 فيك ما في عوالمى من نجوم      ضاحكات خلف الغمام الشرود  
 فيك ما في عوالمى من ضباب      وسراب ، ويقظة ، وهجود  
 فيك ما في طفولتى من سلامٍ ،      وابتسامٍ ، وغبطةٍ ، وسعود  
 فيك ما في شببتي من حنينٍ ،      وشجونٍ ، وبهجةٍ ، وجمود  
 فيك - إن عانق الربيع فؤادى -      تتغنى سـنايلى وورودى  
 ويغنى الصباحُ أنشودة الحب ،      على مسمع الشباب السعيد  
 ثم أجنى فى صيف أحلامى الساحر      مالدَّ من ثمار الخلود  
 فيك يبدو خريف نفسى ملولاً ،      شاحبَ اللون ، عارىَ الأملود  
 جلَّته الحياةُ بالحزن الدَّا      مى وغشَّته بالغيوم السود  
 فيك يمضى شتاه أيايَ البَا      كى ، وترغى صواعقى ورعودى  
 وتجفُّ الزهور فى قلبى الدا      جى ، وتهوى إلى قرار بعيد . . .

أنت يا شعر قصة عن حياتي      أنت يا شعر صورة من وجودي  
 أنت يا شعر - إن فرحتُ - أغار يدي      - وإن غنتُ السكابة - عودي  
 أنت يا شعر كأسُ خمرٍ عجيبٍ      أتلهي به خلال الوجود . . !  
 أمحسّاه في الصباح ، لأنسى      ماتفضي في أمسى المفقود  
 وأناجيه في المساء ، لئيليني      مرآة عن ظلام الوجود  
 أنا لولاك لم أطق عنتَ الدهر ، ولا فرقة الصباح السعيد  
 أنت ما نلتُ من كهوف الليالي      وتصفحتُ من كتاب الخلود  
 فيك ما في الوجود من حلك ، دا      ج ، وما فيه من ضياء ، بعيد  
 فيك ما في الوجود من نغم ، حلو ،      وما فيه من ضجيج ، شديد  
 فيك ما في الوجود من جبل ، وعر ،      وما فيه من حضيض ، وهيد  
 فيك ما في الوجود من حسك ، يدمي ،      وما فيه من غضيض الورود  
 فيك ما في الوجود . . ، حبّ      بنو الأرض قصيدي ، أم لم يُحبّوا قصيدي  
 فسواء على الطيور - إذا غنتُ -      هتافُ السّوم والمستعيد  
 وسواء على النجوم - إذا لاحت -      سكونُ الدجى وقصفُ الرعود  
 وسواء على النسيم ، أفي القفر      تغنّي ، أم بين غضّ الورود  
 وسواء على الورود ، أفي الغيران      فاحت ، أم بين نهدي وجيد

## يَا ابْنَ أُمِّي

خُلِقْتَ طليقًا كطيف النسيم ، وحرًّا كنور الضحى في سماة  
تغرّد كالطير أين اندفعت ، وتشدو بما شاء وحيُّ الإله  
وتمرحُ بين ورود الصباح ، وتنعم بالنور — أرى تراه  
وتشمى — كاشتت — بين المروج ، وتقطف ورد الربا في رُباه

\*\*\*

كذا صاغك الله ، يا ابن الوجود ، وألقتك في الكون هذى الحياة  
فإلك ترضى بذل القيود ، وتحنى لمن كبلوك الجباه ؟  
وتسكتُ في النفس صوت الحياة القوي إذا ماتت في صدها ؟  
وتطبق أجفانك النيرات عن الفجر ، والفجر عذب ضياه ؟  
وتفنع بالعيش بين الكهوف ، فأين النشيد ؟ وأين الإياه ؟  
أتحشى نشيد السماء الجميل ؟ أترهب نور الفضا في ضحاه ؟  
ألا انهض ، وسر في سبيل الحياة ، فمن نام لم تنتظره الحياة ؟  
ولا تحشَّ مما وراء التلاع . . . فما نَمَّ إلا الضحى في صباه . . .  
وإلا ربيع الوجود الغرير ، يطرز بالورد ضافي رداه . . .  
وإلا أريج الزهور الصباح ، ورقص الأشعة بين المياه . . .  
وإلا سحام المروج الأنيق ، يغرّد ، منطلقا في غناه . . .  
إلى النور ! فالنور عذب جميل ، إلى النور ! فالنور ظلُّ الإله

## أَعْنَانِي التَّائِه

كان في قلبي فجرٌ ، ونجومٌ ، وبحارٌ ، لا تُعَشِّبها الغيومُ  
وأناشيدٌ ، وأطيَّارٌ تحومُ وربيعٌ ، مُشرقٌ ، حلوٌ ، جميلٌ  
كان في قلبي صباحٌ ، وإيَّاهُ وابتساماتٌ ، ولكن... والأساهُ!  
آه ! ما أهولَ إعصارَ الحياةُ ! آه ! ما أشقى قلوبَ الناسُ ! آه !

كان في قلبي فجرٌ ، ونجومٌ ،

فإذا السككُ ظلامٌ ، وسديمٌ . . .

كان في قلبي فجرٌ ، ونجومٌ

\*\*\*

يا بني أمي ! ترى أين الصباح ؟ قد تقضيَّ العمرُ ، والفجرُ بعيداً  
وطغى الوادى بمشبوبِ الثَّوَّاحِ وانقضتْ أنشودةُ الفصلِ السعيدِ  
أين نايي ؟ هل ترامته الرياح ؟ أين غابي ؟ أين محرابِ السجودِ .. ؟  
خبروا قلبي - فما أقسى الجراح ! - كيف طارتْ نشوةُ العيشِ الحميدِ ؟

يا بني أمي ! ترى أين الصباح ؟

أوراء البحر ؟ أم خلف الوجود ؟

يا بني أمي ! ترى أين الصباح ؟

\*\*\*

ليت شعري ! هل ستسليني الغداةُ وتُعزِّيني عن الأملِ الفقيـدِ  
وتُربِّي أن أفراح الحياة زُمُرٌ تمضي ، وأفواجٌ تعود  
فإذا قلبى صياح ، وإياه . . . ، وإذا أحلامى الأولى ورود . . . ،  
وإذا الشُّرور حلوا التَّغَمَّات . . . ، وإذا الغاب ضيالا ، ونشيد . . . ؟

ليت شعري ! هل ستسليني الغداة

أم ستسأنى ، وتبقيني وحيد ؟

ليت شعري ! هل تعزِّيني الغداة ؟

## إلى قلبي لتائه

ما لآفاقك يا قلبي سودًا ، حالكت ؟  
ولأوردك بين الشوك صفرًا ، ذاويات ؟  
ولأطيارك لا تلعو ؟ فأين النغمات ؟  
ما لمزمارك لا يشدو بغير الشبهقات ؟  
ولأوتارك لا تخفق إلا شاكيات  
ولأنفامك لا تنطق إلا باكيات  
ولقد كانت صباحَ أمس بين النسمات  
كعذارى الغاب ، لا تعرف غير البسمات ؟  
هوذا يا قلبي البحر ، وأمواج الحياة !  
هوذا القارب مشدودًا إلى تلك الصفاة !  
هوذا الشاطي ! لكن أين ربَّانك ؟ مات !  
أين أحلامك يا قلبي ؟ لقد فاتت الفوات !  
تلك أطياري ، أنيقات ، طراب ، فرحات  
غرّدت ، ثم توارت في غيابات الحياة

\*\*\*

أنت يا قلبي قلب ، أنضجته الزفرات  
أنت يا قلبي عش ، نفرت عنه القطاة

فأطارته إلى النهر الرياحُ العاتيات  
 فهو في التَّيسار أوراق ، وأعواد عراة  
 أنت حقلٌ ، مُجَدَّبٌ ، قد هزئت منه الرعاة  
 أنت ليلٌ ، مُعْتَمٌ ، تندب فيه الباكيات  
 أنت كهفٌ ، مظلمٌ ، تأوى إليه البائسات  
 أنت صرَّحٌ ، شاده الحب على نهر الحياة  
 لبنات الشعر . . . ، لكن قوَّضته الحادثات  
 أنت قبرٌ ، فيه من أيايَ الأولى رُفات  
 أنت عودٌ ، مزَّقَتْ أوتارَه كفُّ الحياة  
 فهو في وحشته الخرساء ، بين الكائنات  
 صامتٌ كالقبر ، إلا من أنينِ الذكريات  
 أنت لَحْنٌ ساحرٌ ، يخبط في التَّيبِ العوات  
 أنت أنشودةٌ فَجْرٌ . . . ، رتلتها الظلمات . . .



أيها السارى مع الظلمة ، في غير أناة  
 مُطْرِقًا ، يخبطُ في الصحراء ، مكبوح الشكاة  
 تهتت في الدنيا ، وما أبتَ بغير الحسرات  
 صلِّ يا قلبي إلى الله ، فإنَّ الموت آت  
 صلِّ فالنَّازعُ لا تبقى له غير الصلاة

## أكرت يا قلبي فماذا تروم؟

يا قلبي الدامي ! إلام الوجوم ؟  
يسكفيك ! إن الحزن فظ ، غشوم  
هذي كؤوسى مرّة ، كالردى  
ما ملؤها إلا عصير الهموم  
وذاك ناي صامت ، واجم  
يُصغى إلى صوت الفرام القديم  
يا قلبي الباكي ، إلام البكى ؟  
ما فى فضاء الكون شىء يدوم  
فانثُرْ غبارَ الحزن فوق الدجى  
واسمعْ إلى صوت الشباب الرخيم  
وانثُرْ على دفء الهوى لحنه  
وارقص مع النور الضحوك الوسيم  
يا قلبي الداجى ! إلام الوجوم ؟  
إن لم ألم قلبي فمن ذا ألوم ؟  
مالك لا تصغى لغير الأسمى ؟  
مالك لا ترنو لغير الكلوم ؟

مالك قد أصبحت لا تصرفُ الأيامَ  
إلاَّ في شعابِ الجحيمِ ؟  
أما ترى البلبـل في غابه  
يشـدو ، وفوق الغاب تخطو النجوم ؟  
أما ترى الأسحار تبدو بها الغابات  
كالأحلام - خلفَ السـديمِ  
أما ترى الآمال في سحرها ؟  
أما ترى الليل ينادي النجوم ؟

\*\*\*

يا قلبى الداجى ! إلام الوجوم ؟  
أكثرت يا قلبى ، فماذا تروم ؟  
هل تحسبُ الأيامَ في زحفها  
ترثى لمن قد هدمته الرجوم ؟  
كلأ ! فإن الدهر يمضى ولا  
يلوى على ما خلفه من كلـيم  
واليمُّ لا يرثى لمن طمه  
والسـيل لا يبكى لنوح الهشيم  
والعاصف الجبار فى سخطه  
لا يرحم الفصن ، الرشيق ، القويم  
هذى هى الدنيا ، فماذا الأسى  
يا قلبى الدامى ، وماذا الوجوم ؟

## يَا مَوْتَ

هي صرخة من صرخات نفسى الملوذة بالأحزان  
والذكريات ، وشظية من شظايا هذا القلب المحطم  
على صخور الحياة ، قلتها فى أيام الأسى التى تلت  
نكبتى بوفاة الوالد ، رحمه الله .

يا موت ! قد مزقتَ صدرى

وقصمتَ بالأرزاءِ ظهـرى  
ورميئتنى من حالقٍ ، وسخرتَ منىَّ أىَّ سخرى  
فلبثتُ مرضوضَ الفؤاد ، أجرُّ أجنحتى بدُغر . . .  
وقسوتَ إذ أبقيتنى فى الكون أذرعُ كلِّ وغر  
ولجمتنى فىمن أحب ، ومن إليه أبُتُّ سرى  
وأعدُّه ، فجرى الجميل ، إذا أدلهمَّ على دهرى  
وأعدُّه ، ورزى ، ومزمارى ، وكاسانى ، وخبرى  
وأعدُّه ، غابى ، ومحرابى ، وأغنيتى ، وفجرى . . .  
ورزأتنى فى عمدتى ، ومشورتى فى كلِّ أسرى  
وهدمتَ صرَّحا ، لا ألوذ بغيره ، وهتكتَ سترى  
ففقدتُ روحًا ، طاهرًا ، شهماً ، يجيش بكلِّ خير

وفقدتُ قلبًا ، هُمه أن يستوى في الأفق بذرى  
وفقدتُ كفاً ، في الحياة يصدُّ عني كل شر  
وفقدتُ وجهًا ، لا يُعبِّسه سوى حزتي وضرى  
وفقدتُ نفسًا ، لا تني عن صون أفراحي وبشرى  
وفقدتُ رُكني في الحياة ، ورايتي ، وعمادَ قصرى

\*\*\*

ياموت ! قد مرَّقتَ صدرى

وقصمتَ بالأرزاءِ ظهري  
ياموت ! ماذا تبغى مني وقد مرَّقتَ صدرى ؟  
ماذا تودُّ ، وأنت قد سوَّدتَ بالأحزانِ فكري  
وتركتني في الكائناتِ أثنً ، منفرداً بإصرى  
وأجوبُ صحراءِ الحياة ، أقول : « أينَ تراه قبري ؟ »  
ماذا تودُّ من المذبِّ في الوجودِ بغيرِ وزر ؟  
ماذا تودُّ من الشقيِّ بعيشه ، النكيدِ ، المِضر ؟  
إن كنتَ تطلبني فهاتِ الكأسَ ، أشربُها بصبر  
أو كنتَ ترقبني فهاتِ السهمَ ، أرشقُه بنحري  
خذني إليك ! فقد تبجَّرتَ في فضاءِ الهمِّ عمري . . .  
وتهدَّلتُ أغصانُ أيامي ، بلا ثمرٍ وزهر  
وتناثرتُ أوراقُ أحلامي على حسكِ المر . . .  
خذني إليك ! فقد ظمِئتُ لسكَّاسك ، السكِّيرِ ، الأمرِّ . . .

خذني فقد أصبحت أرقبُ في فضاءك الجوّنِ نجري  
خذني ، فما أشقى الذي يقضي الحياة بمثل أمرى . . .

\*\*\*

ياموت ! قد مزقتَ صدرى  
وقصمتَ بالأرزاءِ ظهري  
ياموت ! قد شاع الفؤاد ، وأفقرتَ عرصاتِ صدرى  
وغدوت أمشي مطرفاً من طول ما أنقلت فكري  
ياموت ! نفسي ملّت الدنيا ، فهل لم يأت دورى ؟

## إِلَى اللَّهِ

تعرض لقلب الإنسان الذي لا تنتهى أطواره  
أزمات نفسية نائرة ، يعصف فيها الألم والقنوط بكل  
حقائق الحياة ، وتترزع معها كل قواعد الإيمان  
والحق والجمال ، فيشعر المرء كأنما انبت ما بينه وبين  
الكائنات من وشائج الرحم والقربى ، فأصبح غريبا  
في هاته الدنيا الغريبة في نفسه ، وكأنما الحياة فن من  
العبث المرعب الممل الذي لا يجدر بالعطف ولا بالبقاء .  
ولكن من رحمة الأقدار أنها حال عارضة لا تدوم  
إلا كما تدوم عاصفة البحر ، تسكدر صفاءه ، وتحيل جماله  
إلى شناعة ، وأنغامه إلى عويل ، وانسجامه إلى فوضى ،  
ثم تفر العاصفة وتسكن ويرجع البحر إلى زرقته الصافية ،  
والحانه المترنة ، وجماله الساحر الأبدى — وتحت تأثير  
هاته الحالة النفسية الجامحة نظمت القصيد التالى ونفسى  
سكرى بأحزانها الدامية وآلامها المتشحة باللهيب .

يا إله الوجود ! هذى جراح فى فؤادى ، تشكو إليك الدواهى  
هذه زفرةٌ يُصعدها الهمُّ إلى مسمع الفضاء الساهى  
هذه مهجة الشقاء تناجيك فهل أنت سامع يا إلهى ؟

\*\*\*

أنتَ أنزلتني إلى ظلمة الأرض      وقد كنتُ في صباحِ زاه  
 كالشمع الجليل ، أسبحُ في الأفق      وأصغى إلى خرير المياه  
 وأغنى بين الينابيع للفجر      وأشـدو كالبلبل التياہ  
 أنتَ أوصلتني إلى سبل الدنيا      وهذى كثيرة الاشتباه  
 ثم خلقتني وحيداً ، فريداً      بين داج من الرياح وناه  
 أنتَ أوقفتني على لُجّة الحزن      وجـرعتني مرارة « آه ! »  
 أنتَ أنشأتني غريباً بنفسى      بين قومي ، في نشوتي وانتباهى  
 أنتَ كرهتني الحياة وما فيها      وحببتني جُودَ الساهى  
 أنتَ حببتَ بين جنبي قلباً      سرمدىَّ الشـعور والانتباه  
 عبقرىَّ الأسى : تعذبہ الدنيا      وتشجيه ساحرات الملاحى !  
 أنتَ عذبتني بدقة حسی      وتعمقنتني بكل الدواہى  
 بالأسى ، بالسقام ، بالهم ، بالوحشة ، باليأس ، بالشقا المتناهى  
 بالمنايا تغتال أشهى أمانىً      وتذوى محاجرى ، وشفاهى  
 فإذا من أحب حفنة ترُب      تافه ، من ترائب وجباه  
 وإذا فتنة الحياة وسحر الكون      ضربُ من الغمام الزاهى  
 يتلاشى فوق الخضم ، ويبقى اليمُّ — كالعهد ، مُزبدَ الأمواه ...

\*\*\*

ياإله الوجود ! مالك لانزى      لحزن المعذب الأواه ؟  
 قد تأوّهتُ في سكون الليالى      نم أطبقتُ في الصباح شفاهى

وتفرَّلتُ بالحياة ، وبالحبِّ ، وغنَّيتُ كالسَّعيدِ اللّاهي  
وزرعتُ الأحلامَ في قلبِي الدامي ، وحوَّطتها بكلِّ انتباهي  
ثمَّ لما حصدت لم أجن إلاَّ الشوكَ ، ماذا تُرى فعلتُ ؟ إلهي !

\*\*\*

يارياحِ الوجود ! سيري بعنفيِّ وتغنِّي بصوتك الأواه  
وانفجحيني من روحك الفخْم ما يُبلِّغُ صوتي آذانَ هذا الإله  
فهو يُصنِّي إلى القويِّ ، ولا يُصنِّي لصوتِ بين العواصفِ واه  
وانثرى الوردَ للسلوجِ بداداً واصمعي كلَّ بلبل تيّاه  
فالوجود الشقيُّ غير جدير بالأغاني ، وبالجمال الزاهي  
واسمعي الكائنات كوثناً بكوني ، قبل أن تنتهي أذلَّ تناه  
فالإله العظيم لم يخلق الدنيا سوى للفناء تحت الدواهي

\*\*\*

ياضمير الوجود ! يا عالم الأرواح ! ياأيها الفضاء الساهي !  
يا خضمَّ الحياة ، يزخر في الآفاق ، في التراب ، في قرار المياه !  
خبِّروني ، هل للورى من إلهٍ ، راحمٍ - مثل زعمهم - أواه  
يخلق الناسَ باسماءَ ، وبواسيهم ، ويرنو لهم بعطفِ إلهي  
ويرى في وجودهم روحه السامي ، وآيات فنه المتناهي  
إنني لم أجد في هاته الدنيا ، فهل خلف أفتها من إله ؟ !

\*\*\*

ما الذى قد أتيتَ يا قلبى الباكي ؟ . . . وماذا قد قلبته يا شفاهى  
يا إلهى ! قد أنطق الممُّ قلبى بالذى كان . . . ، فاعترف يا إلهى !  
قدَّم اليأسِ والكآبةِ داستُ قلبى المُتعبَ ، الغريبَ ، الواهى  
فتشظى ، وتلك بعضُ شظاياها . . . ، فسامخُ فنوطه المتناهى  
فهو ياربُّ معبدُ الحقِّ ، والإيمانِ والنورِ والنقاءِ الإلهى  
وهو نايُّ الجمالِ ، والحبِّ ، والأحلامِ ، لسكن قد حطَّته الدواهى

## النبي المجهول

أيها الشعب ! ليتني كنتُ حطّاباً  
 ليتني كنتُ كالسيول ، إذا سالت  
 ليتني كنتُ كالرياح ، فأطوى  
 ليتني كنتُ كالشتاء ، أغشى  
 ليت لي قوّة العواصف ، يا شعبي  
 ليت لي قوّة الأعاصير ، إن ضجّتْ  
 ليت لي قوّة الأعاصير . . . ! السكن  
 أنت رُوحٌ غَيبِيَّةٌ ، تسكره النور ،  
 أنت لا تدرك الحقائق إن طافتْ  
 في صباح الحياة ، صمّختُ أكوابي  
 ثمّ قدّمتها إليك ، فأهرقتَ  
 فتألّمتُ . . . ، ثمّ أسكتُ آلامي ،  
 ثمّ نضدتُ من أزاهير قلبي  
 ثمّ قدّمتها إليك ، فزّقتَ  
 ثمّ ألبستني من الحزن ثوباً

فأهوى على الجذوع بقاسي !  
 تهذُّ القبورَ : رمساً برمس !  
 كل ما يحنق الزهور بنحسي !  
 كلّ ما أذبل الخريف بقرمسي !  
 فألقى إليك ثويرة نفسي !  
 فأدعوك للحياة بنبسي !  
 أنت حيٌّ ، يقضي الحياة برمس . . . !  
 وتقضي الدهورَ في ليل مأس . . .  
 حواليك دون مسٍ وجس . . .  
 وأترعتها بثمرّة نفسي . . .  
 رحيمتي ، ودست يا شعبُ كأسمي !  
 وكفكفتُ من شعوري وحسي  
 باقةً ، لم يمسّها أيّ إنسي . . .  
 ورودي ، ودستها أيّ دوس  
 وبشوك الجبال توّجت رأسي

\*\*\*

إنني ذاهبٌ إلى الغاب ، يا شعبي لأفضي الحياة ، وحدي ، بيأس

إنني ذاهب إلى الغاب ، على  
ثم أنساك ما استمطت ، فمأنت  
سوف أتلو على الطيور أناشيدى ،  
فهي تدرى معنى الحياة ، وتدرى  
ثم أفضى هناك ، فى ظلمة الليل ،  
ثم نحت الصنوبر ، الناصر ، الحلو ،  
وتظل الطيور تلغو على قبرى  
وتظل الفصول تمتى حوالى ،  
فى صميم الغابات أدفن بؤسى  
بأهل لخرتى ولكأسى  
وأفضى لها بأشواق نفسى  
أن مجد النفوس يقظة حس  
وألقى إلى الوجود بيأسى  
نخط السبول حفرة رمسى  
وبشدو النسيم فوق ، بهمس  
كما كُنَّ فى غضارة أمسى

\*\*\*

أيها الشعب ! أنتَ طفل صغير ،  
أنتَ فى السكون قوّة ، لم أسسها  
أنتَ فى السكون قوّة ، كبيتها  
والشقى الشقى من كان مثلى  
لاعب بالتراب والليل مُفس . . !  
فكرة ، عبقرية ، ذات بأس  
ظلمات العصور ، من أمس أمس . .  
فى حساسيتى ، ورقة نفسى

\*\*\*

هكذا قال شاعر ، ناول الناس  
فأشاحوا عنها ، ومرثوا غضابا  
« قد أضع الرشاد فى ملعب الجن  
« طالما خاطب العواصف فى الليل  
« طالما رافق الظلام إلى الغاب  
« طالما حدث الشياطين فى الوادى ،  
رحيق الحياة فى خير كأس  
واستخفوا به ، وقالوا بيأس :  
فيا بؤسه ، أصيب بمس »  
وناجى الأموات فى غير رمس »  
ونادى الأرواح من كل جنس »  
وغنى مع الرياح بجرس »

« إنه ساحرٌ ، تعلّمهُ السحرَ الشياطينُ ، كلُّ مطلعِ شمسٍ »  
 « فابعدوا الكافرَ الخبيثَ عن الهيكلِ إِنَّ الخبيثَ منبعُ رجسٍ »  
 « أطردوه ، ولا تُصيخوا إليه فهو روحٌ ، شريرةٌ ، ذاتِ نحسٍ »

\*\*\*

هكذا قال شاعرٌ ، فيلسوفٌ ، عاش في شعبه الفجئ بتفس  
 جهلَ الناسُ روحه ، وأغانيتها فسأماوا شعوره سوّمَ بنحس  
 فهو في مذهب الحياة نبيء وهو في شعبه مصابٌ بمس  
 هكذا قال ، ثمّ سار إلى الغاب ، ليحيا حياةَ شعرٍ وقدس  
 وبعيداً... هناك .. ، في معبد الغاب الذي لا يُظنُّ له أى بؤس  
 في ظلال الصنوبر الخلو ، والزيتون يقضى الحياة : حرماً بحرس  
 في الصباح الجميل ، يشدومع الطير ، ويمشى في نشوة المتحمسى  
 ناخفاً نايه ، حوالته تهتزُّ وروودُ الربيع من كلِّ فقس  
 شعره مُرسَلٌ - تداعبه الريحُ على منكبته مثل الدمقس  
 والطيورُ الطرابُ تشدو حواليه وتراهِ عند الأصيل ، لدى الجدول ،  
 أو يغنى بين الصنوبر ، أو يرنو إلى سُدفَةِ الظلام المسمى  
 فإذا أقبل الظلامُ ، وأمست ظلماتُ الوجود في الأرض تُغشى  
 كان في كوخه الجميل ، مقياً يسأل الكون في خشوع وهمس  
 عن مصبِّ الحياة ، أين مدهاءٌ وصميمِ الوجود ، أيبانَ يرسى ؟

وأريج الورود ، في كلِّ وادٍ ، ونشيدِ الطيور ، حين تَمسى ،  
وهزيم الرياح ، في كلِّ فجٍّ ورسوم الحياة من أمس أمس  
وأغاني الرعاة أين يواربها سكونُ الفضا ، وأيان تَمسى ؟؟

\*\*\*

هكذا يصرف الحياة ، ويُفنى حَلَقَاتِ السنين : حَرَسًا بحرس  
يا لها من معيشة في صميم الغاب ، تضحى بين الطيور وتَمسى !  
يا لها من معيشة ، لم تُدَنَّسها نفوس الوري بنبث ورجس !  
يا لها من معيشة ، هي في الكون حياةٌ غريبةٌ ، ذات قُدس

## صَفْحَةٌ مِنْ كِتَابِ الدَّمْعِ

غَنَاهُ الأَمْسُ ، وَأَطْرَبَهُ      وشجَاهَ اليَوْمُ ، فَمَا غَدَهُ ؟  
قَد كَانَ لَهُ قَلْبٌ ، كَالطُّفْلِ ،      يَدُ الأَحْلَامِ تَهْدُهُ — دَهْ  
مُذْ كَانَ لَهُ مَلَكٌ فِي الكَوْنِ      جَمِيلُ الطَّلَعَةِ ، يَعْْبُدُهُ  
فِي جَوْفِ اللَّيْلِ ، يَنَاجِيهِ      وَأَمَامَ الفَجْرِ ، يَمْجِدُهُ  
وَعَلَى المَضْبَاتِ ، يَغْنِيهِ      آيَاتِ الحُبِّ ، وَيُنْشِدُهُ  
لَوْلَاهُ لَمَا عَذَّبْتُ فِي الكَوْنِ مَصَادِرَهُ وَمَوَارِدَهُ  
وَأَمَّا فَاضَتْ بِالشُّعْرِ الحَيِّ مِشَاعِرَهُ وَقِصَائِرَهُ  
تَمَشَّى فِي الغَابِ ، فَتَنَبَّهَهُ      أَفْرَاحِ الحُبِّ ، وَتَنَشِدُهُ  
وَيَرَى الآفَاقَ فَيُبَيِّنُهَا      زُمَرًا فِي النُّورِ ، تُرَاصِدُهُ  
وَيَرَى الأَطْيَارَ ، فَيَحْسِبُهَا      أَحْلَامَ الحُبِّ تَغْرِدُهُ  
وَيَرَى الأَزْهَارَ ، فَيَحْسِبُهَا      بَسْمَاتِ الحُبِّ تَوَادِدُهُ  
فَيَخَالُ الكَوْنَ يَنَاجِيهِ !      وَجَمَالَ العَالَمِ بِسَعْدِهِ !  
وَنَجْوَى اللَّيْلِ تَضَاحِكُهُ !      وَنَسِيمَ الغَابِ يَطَارِدُهُ !  
وَيَخَالُ الوَرْدَ يَدَاعِبُهُ      فَرِحًا ، فَتَعَابَثَهُ يَدُهُ ! . .  
وَيَرَى اليَذْبُوعَ ، وَنَضْرَتَهُ ،      وَنَسِيمُ الصُّبْحِ يَجْعِدُهُ  
وَخَرِيرُ المَاءِ لَهُ نَفَمٌ      نَسْمَاتُ الغَابِ تَرُدُّهُ

ويرى الأعشاب وقد سمقت بين الأشجار تشاهده  
ونظافُ الطفلُ تَنَمَّقُهَا فيجل « الحبَّ » ويحمده

\* \* \*

بالأبام ! فكم سرّت قلبًا في الناس لتكده  
هي مثل العاهر ، عاشقها نسقيه الخمر . . . ، وتطرده !  
يعطيك اليوم حلاوتها كالشهد ، ليسلبها غده !

\* \* \*

بالأمس يعانقها فرحًا وبضاجعها ، فتوسده  
واليوم ، يسايرها شبحًا أضناه الحزن ، ونسكه  
يتلو في الغاب مرثية وجذع السرو تسانده  
ويماشي الناس ، وما أحد منهم بشجيه تفرده  
في ليل الوحشة مسراه وبكهف الوحدة مرقده  
أصوات الأمس تعذبه وخيال الموت يهدده

\* \* \*

بالأمس له شفق في السكون يضيء الأفق تورده  
واليوم ، لقد غشاه الليل في العالم يسعده  
غناه الأمس وأطر به وشجاه اليوم ، فما غده ؟

## شجُونٌ

عجبا لي ! أودُّ أن أفهمَ الكونَ ، ونفسي لم تستطع فهم نفسي !  
لم أفدِّ من حقائق الكون إلاّ أنتي في الوجود مُرتادُ رمس  
كلُّ دهرٍ بمرُّ يفجع قلبي ليت شعري ! أينَ الزمانَ المؤسِّ  
في ظلام الكهوف أشباحُ شؤمٍ وبهذا الفضاءَ أطيافُ نحس  
وخلالَ القصور أناتُ حزنٍ وبذلك الأكواخ أنضاء بؤس !  
والفضاء الأعمُّ يعتسفُ النـ ساسَ ويقضى ما بين سيف وقوس !

\*\*\*

هذه صورة الحياة ، وهذا لونُها في الوجود ، من أمس أمس  
صوتٌ للشقاء دامعة الطرف ولونٌ يسودُّ في كل طرس

## (١) الجال المنشود

يا عذارى الجمال ، والحب ، والأحلام ،  
 قد رأينا الشعورَ مندلاتٍ  
 ورأينا الجفونَ تبسم . . . ، أو تحلم  
 ورأينا الحدودَ ، ضرجها السخرُ ،  
 ورأينا الشفاعةَ تبسم عن دنياً  
 ورأينا النهودَ تهتزُّ ، كالأزهار  
 فتنَةٌ ، توقظ الغرام ، وتذكّيه ،  
 ما الذى خلف سحرها الحالم ، السكران ،  
 أنفوس جميلةً ، كطيور الغمام  
 طاهراتٌ ، كأنها أريجُ الأزهار  
 وقلوبٌ مُضيئةٌ ، ككنجوم الليل  
 أم ظلامٌ ، كأنه قطعُ الليل ،  
 وخِصمٌ ، يهوج بالإنم والنكر ،  
 لستُ أدرى ، فربَّ زهرٍ شذِيٍّ

بل يابها هذا الوجود !  
 كَلَلتُ حسنَها صباحُ الورود  
 بالنور ، بالهوى ، بالنشيد . . .  
 فأها من سحر تلك الحدود !  
 من الورد ، غصّةٍ ، أملود  
 فى نشوة الشباب السعيد  
 ولكن ماذا وراء النهود ؟  
 فى ذلك القرار البعيد . . . ؟  
 تشدو بساحر التفرديد  
 فى مولد الربيع الجديد ؟  
 ضواعةً ، كغصنُ الورود ؟  
 وهولٌ يُشيبُ قلبَ الوليد  
 والشر ، والظلال المديد ؟  
 قاتل رغم حسنه المشهود

صانكنَّ الإلهُ من ظلمةِ الروح      ومن ضلَّةِ الضمير المريد  
 إنَّ ليلَ النفوسِ ليلٌ مُربِعٌ      سرمدى الأسمى ، شنيع الخلود  
 يزرع القلب فيه بالألم المرَّ ،      ويشقى بعيشة المنكود  
 وربيع الشباب يُذبله الدهر ،      ويمضى بحسنه المعبود  
 غير باقٍ في الكونِ إلَّا جمال      الروح غصًّا على الزمانِ الأبيد

## (٢) طريق الهاوية

يا عذارى الجمال، والحب، والأحلام،      بل يابها هذا الوجود !  
 خلق الليل الجميل ليشدو      وخالقنَّ للفرام السعيد  
 والوجودُ الرحيبُ كالقبر ، لولا      ماتجَلَّينَ من قُطوب الوجود  
 والحياةُ التي تخزُّ لها الأحلامُ      موتٌ منقلُّ بالقيود . . .  
 والشبابُ الحبيبُ شيخوخةٌ تسعى      إلى الموت في طريق كؤود . . .  
 والربيعُ الجميلُ في هاته الدنيا      خريفٌ، يُذوي رفيف الورود . . .  
 والورودُ العذابُ في ضفة الجدول      شوكٌ ، مُصفَّحٌ بالحديد . . .  
 والطيورُ التي تُغنى ، وتقضى      عيشَها في ترثمٍ وغريد ؟  
 إياها في الوجود تشكو إلى الأيام      عبء الحياة بالقريد . . .  
 والأناشيد ؟ إنها شهقاتٌ      تتشظى من كل قلب عميد . . .

صورة للوجود شوهاه ، لولا شفق الحسن فوق تلك الخدود

\*\*\*

بازهور الحياة ، للحب أنتن  
فسبيلُ القرامِ جمُّ المـهاوى  
ولكنه مُخيفُ الورود  
وافرُّ الهول ، مُسترابُ الصعيد  
رغمَ مافيه من جمال ، وفنٍ  
عبقريّ ، ما إن له من مزيد  
وأناشيد ، تُسـكِرُ المَلَأَ الأعلى ،  
وتُشجِي جوائِحَ الجلمود  
وأريج ، يكاد يذهب بالألباب  
ما بين غامضٍ وشديد  
وسبيلُ الحياة رَحْبٌ ، وأنتن  
اللواتي نفرشـنه بالورود  
إن أردتنَّ أن يكون بهيجاً  
رائع السحر ، ذا جمالٍ فريد  
أو بشوكٍ ، يُدعى الفضيـلة والحبَّ  
ويقضى على بهاء الوجود  
إن أردتنَّ أن يكون شنيعاً ،  
مظلم الأفقِ ميّتَ التفريد

## الاستوائ والنائية

يا صميم الحياة ! إني وحيدٌ ، مذليجٌ ، تائه . فأين شروقك ؟  
 يا صميم الحياة ! إني فؤادٌ ضائعٌ ، غامى . فأين رحيقك ؟  
 يا صميم الحياة ! قد وجَّه النَّأىُ وغام الفضا . فأين بروقك ؟  
 يا صميم الحياة ! أين أغانيك ! فتحت النجوم يُصغى مشوقك

\*\*\*

كنتُ في فجرِكَ ، الموشَّح بالأحلام ، عِطراً ، بُرفٌ فوق ورودِكَ  
 حالماً ، ينهل الضياء ، ويُصغى لك ، في نشوةٍ بوحى نشيدك  
 ثمَّ جاء الدجى . . ، فأمسيتُ أوراقاً ، بداداً ، من ذابلات الورود  
 وضباباً من الشذى ، يتلاشى بين هول الدجى وصمت الوجود  
 كنتُ في فجرِكَ المغلف بالسحر ، فضاء من النشيد الهادى  
 وسحاباً من الرُّؤى ، يتهدى في ضمير الآزال والآباد  
 وضياء ، يعانق العالمَ الرحب ، وبسرى في كل خافٍ وباد  
 وانقضى الفجرُ . . ، فأنحدرتُ من الأفق تراباً إلى صميم الوادى

\*\*\*

يا صميم الحياة ! كم أنا في الدنيا غريبٌ ! أشقى بغربة نفسى  
 بين قومٍ ، لا يفهمون أناشيدَ فؤادى ، ولا معانىَ يؤسى

في وجودٍ مكبَّلٍ بقيودٍ ، تائهٍ في ظلامٍ شكٍّ ونحسٍ  
فاحتضنني ، وضممني لك - كالمضى - فهذا الوجودُ علةٌ يأسى

\*\*\*

لم أجد في الوجودِ إلهاءً ، سرمدياً ، ولذةً ، مضمحلةً  
وأماناً ، يُغرقُ الدمعُ أحلاها ، ويُغني يمُّ الزمانِ صداها  
وأناشيداً ، يأكلُ الهميبُ الدَّاميَ مسرَّاتها ، ويُبقِي أساها  
ووروداً ، تموت في قبضة الأثواك . ماهذه الحياة المِلمة ؟ !  
سأمٌ هذه الحياة مُعادً وصباحٌ ، يكرُّ في إثر ليل  
ليتنى لم أفدْ إلى هذه الدنيا ، ولم تسبح السكواكبُ حولي !  
ليتنى لم يعانق الفجرُ أحلامي ، ولم يلثم الضياء جفوني !  
ليتنى لم أزل - كما كنت - ضوءاً ، شائعا في الوجود ، غير مسجين !

## أحلام شيبان

ليت لي أن أعيش في هذه الدنيا سعيداً بوحدي وانفرادي  
أصرف العمر في الجبال ، وفي الغابات ،

بين الصنوبر المياد

ليس لي من شواغل العيش ما يصرف نفسي عن استماع فؤادي  
أرغب الموت ، والحياة ، وأصغى لحديث الآزال والآباد  
وأعنى مع البلابل في الغاب ، وأصغى إلى خرير الوادي  
وأناجي النجوم ، والفجر ، والأطيّار والنهر ، والضياء الهادي  
عيشة للجمال ، والفن ، أبعثها بعيداً عن أمّتي وبلادي  
لا أعنى نفسي بأحزان شعبي فهو حتى ، يعيش عيش الجادا  
وبحسبي من الأسي ما بنفسي من طريفٍ مُستخَدَثٍ ، وتِلاد  
وبعيداً عن المدينة ، والناس ، بعيداً عن لغو تلك النوادي  
فهو من معدن السخافة والإفك ومن ذلك الهراء العادي  
أين هو من خرير ساقية الوادي وخفق الصدى ، وشدو الشادي  
وحفيف الغصون ، نَمَّها الطلُّ وهمس النسيم للأوراد ؟  
هذه عيشة تُقدِّسها نفسي وأدعو لجدها ، وأنادي

## قيود الأحلام

وأودُّ أن أحيَا بفكرةٍ شاعرٍ      فأرى الوجودَ يضيقُ عن أحلامي  
 إلّا إذا قَطَعْتُ أسبابي مع الدنيا      وعشتُ لوحدي وظلامي  
 في الغاب ، في الجبل البعيد عن الوري      حيث الطبيعة ، والجمال السامي  
 وأعيشُ عيشةً زاهداً مُتَنَسِّكٍ      ما إنْ تُدَنِّسه الحياةُ بذام  
 هَجَرَ الجماعةَ للجبال ، تورِّعاً      عنها ، وعن بطش الحياة الدامي  
 تمشي حوائيه الحياة كأنها      الحلمُ الجميل ، خفيفة الأقدام  
 وتَخِرُّ أمواج الزمان بهيئة      قدسيّة ، في يَمِّها المترامي  
 فأعيش في غابي حياةً ، كلها      للفنِّ للأحلام ، للإلهام  
 لكنني لا أستطيع ، فإن لي      أمّا ، يصدُّ حنانها أوهامي  
 وصِفارَ إخوانٍ ، يرون سلامهم      في الكائنات معلقاً بسلامي  
 فقدوا الأب الحاني ، فكنتُ لضعفهم      كهفماً ، يصدُّ غوائل الأيام  
 ويقيمهم وهَجَّ الحياة ، ولفحها      ويدود عنهم شيرة الآلام  
 فأنا المسكَبُلُ في سلاسل ، حيّة ،      ضحيتُ من رأفي بها أحلامي  
 وأنا الذي سكنَ المدينة ، مُكرِّهاً      ومشي إلى الآتي بقلبٍ دام  
 يصفني إلى الدنيا السخيفة راغماً      ويعيش مثل الناس بالأوهام  
 وأنا الذي يحيا بأرض ، قفرة      مدحوة للشكِّ والآلام . . .

هجمتُ بيَ الدنيا على أهوالها      وخِصَمَّها الرُحْبُ ، العميقُ الطامى  
من غيرِ إنذارٍ فأحملَ عُدتى      وأخوضه كالسباحِ العوامِ  
فتحطمتُ نفسى على شطآنه      وتأججتُ فى جوّه آلامى

\*\*\*

الويلُ للدنيا التى فى شرعِها      فأسُ الطعامِ كَرِيشَةَ الرسامِ ؟

؟

أرى هيكَلَ الأيامِ يعلو ، مُشِيدًا      ولا بد أن يأتى على أسِّه الهدمُ  
فِيصِيحُ ما قد شِيدَ اللهُ والورى      خرابًا ، كأنَّ السكَلَ فى أمسه وهم !  
فقل لى : « ماجذوى الحياةِ وكرهها ،      وتلك التى تذوى ، وتلك التى تنمو ؟ »  
« وفوْجٍ ، تغذِّيه الحياةُ لبانها ،      وفوْجٍ ، يُرى تحت الترابِ له ردم ؟ »  
« وعقلٍ ، من الأضواءِ ، فى رأسِ ناغٍ      وعقلٍ ، من الظلماءِ ، يحمله فَدَم ؟ »  
« وأفئدةٍ حسرى ، تذوبُ كآبَةً      وأفئدةٍ ، سكرى ، يَرِفُّ لها النجم ؟ »  
لِتَعْسِ الورى ، شاءَ الإلهُ وجودهم      فكان لهم جهلٌ ، وكان لهم فهمٌ !!

## أنا أبكيك للحب

لستُ يا أمسىَ أبكيكَ لمجدٍ أو لجأه  
سلبته منيَ الدنيا ، وبزنتي رداه  
فأنا أحتقرُ المجدَ ، وأوهامَ الحياة

\*\*\*

أو لعُمري ، بلغتُ منه اللَّياليَ منتهاه  
وتلاشتُ في خضمِ الزَّمنِ الطاغى قواه  
فأنا ما زلتُ في فجرِ شبابي أو ضُحاه

\*\*\*

لا ، ولا أبكيكَ يا أمسى ، إذا ما قلتُ : « آه »  
لنعيمٍ ، لم ينلْ قلبيَ منه مُشتهاه  
فبنو الأيامِ في الدنيا كما شاء الإله

\*\*\*

إنما أبكيكَ للحبِّ ، الذي كان بهاه  
يملاً الدنيا ، فأنى سرتُ في الدنيا أراه  
فإذا ما لاحَ فجرٌ ، كان في الفجرِ سناه  
وإذا غرَّدَ طيرٌ ، كان في الشَّدو صداه

وإذا ما ضاع عِطْرٌ ، كان في العطر شذاهُ  
 وإذا ما رفَّ زهرٌ ، كان في الزَّهر صِبَاهُ  
 فهو في السكون جمالٌ ، يَمَلُّ الأفقَ ضِيَاهُ  
 وتُوشى هذه الأكوَانُ بالسَّحرِ رُؤَاهُ  
 وهو في قَليِّ - الذي عانقه الفجرُ - إلهُ !  
 عبقريُّ السَّحرِ ، ممرَّحٌ ، ودِيعٌ في سماءِ  
 يَنسجُ الأحلامَ في قَليِّ بأضواءِ الحياةِ  
 ويُغنِّيني ، فأنسى في مسرَّاتِ غِنَاهُ  
 كلُّ ما في السكون من حزنٍ وأفراحٍ ، عَدَاهُ

## سِرُّ النُّهوضِ

لا ينهضُ الشعبُ إلاَّ حين يدفعه  
 عزْمُ الحياةِ ، إذا ما استيقظتُ فيه  
 والحبُّ يَحترقُ الغبراءَ ، مندفعًا  
 إلى السماءِ ، إذا هبَّتْ تناديه  
 والقيدُ يَألفُه الأمواتُ ، ما لبثوا  
 أمَّا الحياةُ فَيُئلبها وتُبلِّيه

## أَبْنَاءُ الشَّيْطَانِ

أَيُّ نَاسٍ هَذَا الْوَرَى؟ مَا أَرَى إِلَّا بَرَايَا، شَقِيَّةً، مَجْنُونَةً  
جَبَلَتْهَا الْحَيَاةُ فِي ثَوْرَةِ الْيَأْسِ مِنَ الشَّرِّ، كَيْ تُجَنِّبَ جَنُونَهُ  
غَافِلَةً لَهُ الْمَعَابِدَ، فِي السَّكُونِ، وَصَدَّتْ لَهُ وَشَادَتْ حَصُونَهُ

\*\*\*

كَمْ فَتَاةٍ، أَجْمِيلَةٍ، مَدَحُوهَا وَتَغَنَّوْا بِهَا لِسْكَى يُسَقِطُوهَا  
فَإِذَا صَانَتِ الْفَضِيلَةَ عَابُوهَا، وَإِنْ بَاعَتْ الْخَلْفَا عَبْدُوهَا  
أَصْبَحَ الْحَسَنُ لَعْنَةً، تَهْبِطُ الْأَرْضَ، لِيُغْوِيَ أَبْنَاؤُهَا وَذُرُوهَا

\*\*\*

وَشَقِيَّةٍ، طَافَ الْمَدِينَةَ، يَسْتَجِدِي لِيَحْيَا، فَخَيَّبُوهُ احْتِقَارًا  
أَيَقْطُوهَا فِيهِ نَزْعَةَ الشَّرِّ، فَانْقَضَ عَلَى النَّاسِ فَاتِكًا جَبَّارًا  
يَبْذُرُ الرُّعْبَ فِي الْقُلُوبِ، وَيُذَكِّي - حَيْثَمَا حَلَّ - فِي الْجَوَانِحِ نَارًا

\*\*\*

وَنَبِيءَ، قَدْ جَاءَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ، فَكَالُوا لَهُ الشَّتَائِمَ كَثِيرًا  
وَتَنَادَوْا بِهِ: «إِلَى النَّارِ! فَالنَّارُ بَرُوحُ الْخَلِيثِ أُخْرَى وَأَوْلَى»  
ثُمَّ الْقُوَّةُ فِي اللَّهْمِ، وَظَلُّوا يَمْلَأُونَ الْوُجُودَ رُعبًا وَهَوْلًا

\*\*\*

وشعوبٍ ، ضعيفه ، تتلظى في جحيم الآلامِ عامًا فعامًا  
والقوى الظلومُ يعصِرُ من آلامها الشودِ لذةً ومُدَامًا  
يتعسَّاهُ ضاحكًا . . ، لا يراها خُلِقَتْ في الوجودِ إلا طعامًا !

\*\*\*

وفتاةٍ حسبتهَا مَعْبَدَ الحُبِّ ، فآلَعَيْتُ قَلْبَهَا مَا خُورًا !  
ونبيلٍ ، وجدته في ضياءِ الفجرِ قلبًا ، مُدَانَسًا ، شريرًا !  
وزعيمٍ أَجَلَهُ النَّاسُ حَتَّى ظَنَّ في نفسه إلهًا صغيرًا !

\*\*\*

وخبيثٍ ، يعيشُ كالفأسِ ، هَدَامًا ، لِيَعْلُو بَيْنَ الخرابِ بناءً .  
وقمىءٍ ، يُطَاوِلُ الجبلَ العالِي ، فله ما أشدَّ غباءه !  
ودنىءٍ ، تاريخه في سِجِلِّ الشرِّ : إفكٌ ، وقِحَّةٌ ، ودناءةٌ .

\*\*\*

كان ظنِّي أَنَّ النفوسَ كِبَارٌ فوجدتُ النفوسَ شيئًا حقيرًا  
لوثتهُ الحَيَاةُ ، ثمَّ استمررتُ تبذرُ العالمَ العريضَ شرورًا  
فاحصدوا الشوكَ . . ، يا بنيتها وضيحوا  
وامتلأوا الأرضَ والسماءَ حبورًا

## صَلَاةٌ فِي هَيْكَلِ الْحَبِّ

عذبة أنتِ كالطفولة ، كالأحلام كاللحن ، كالصباح الجديد  
 كالسما الضحوك كالليلة القمراء كالورد ، كابتسام الوليد  
 يا لها من وداعة وجمال وشباب مُنعمٌ أم لود !  
 يا لها من طهارة ، تبعثُ التقدير س في مهجة الشقي العنيد ! ...  
 يا لها رقةً تسكادُ برفُ الوز دُ منها في الصخرة الجلود !  
 أيُّ شئٍ تراكِ؟ هل أنتِ «فينيس» تهادت بين الوري من جديد  
 لتعيدَ الشبابَ والفرحَ للمسولَ للعالمِ التعميسِ العميد !  
 أم ملاكُ الفردوسِ جاء إلى الأَرْضِ لِيُخَيِّ رُوحَ السلامِ العميد !  
 أنتِ ... ، ما أنتِ؟ رسمٌ جميلٌ عبقرى من فنِّ هذا الوجود  
 فيكِ مافيه من غموضٍ وعمقٍ وجمالٍ مُقدَّسٍ معبود  
 أنتِ .. ما أنتِ؟ أنتِ فجرٌ من السحر تجلي لقابِ المعمود  
 فأراه الحياةَ في موقِ الحسنِ وجلِّ له خفايا الخلود  
 أنتِ روحُ الربيع ، تحتال في الدنيا قمتهنزُ رائعاتُ الورد  
 وتهبُّ الحياةَ سكرى من العطر ، ويدوى الوجودُ بالتفريد  
 كلما أبصرتكِ عينايَ تمشين بخطوي موقِعَ كالنشد  
 خفقَ القلبُ للحياة ، ورفَّ الزمُّ رُ في حقلِ عمرى المجرود

وانتشتِ رُوحِي السَكْنِيَّةُ بِالْحَبِّ وَغَنَتْ كَالْبَلْبَلِ الْفَرِيدِ  
أَنْتِ تُحْيِينَ فِي فُؤَادِي مَا قَدِ مَاتَ فِي أَمْسِي السَّعِيدِ الْفَقِيدِ  
وَتَشِيدِينَ فِي خِرَابِ رُوحِي مَا نَلَّشِي فِي عَهْدِي الْمَجْدُودِ  
مَنْ طَمُوحَ إِلَى الْجَمَالِ إِلَى الْفَنِّ ، إِلَى ذَلِكَ الْفَضَاءِ الْبَعِيدِ  
وَتَبْثُنِينَ رَقَةَ الشُّوقِ ، وَالْأَحْلَامِ وَالشَّدْوِ ، وَالهُوَى ، فِي نَشِيدِي  
بَعْدَ أَنْ عَانَتْ كَاتِبَةُ أَيَّامِي فُؤَادِي ، وَأَجَلَتْ تَغْرِيدِي  
أَنْتِ أَنْشُودَةُ الْأَنْشِيدِ ، غِنَاكِ إِلَهُ الْغِنَاءِ ، رَبُّ الْقَصِيدِ  
فِيكَ شَبُّ الشَّبَابِ ، وَشَجَّةُ السَّحْرِ وَشَدْوُ الْهُوَى ، وَعِطْرُ الْوَرُودِ  
وَتَرَامِي الْجَمَالِ ، بِرَقْصِ رَقْصَا قُدْسِيَا ، عَلَى أَغَانِي الْوُجُودِ  
وَتَهَادَتْ فِي أَفْقِ رُوحِكِ أَوْزَانُ الْأَغَانِي ، وَرَقَّةُ النَّفْسِ رِيدِ  
فَتَمَائِلَتِ فِي الْوُجُودِ ، كَلْحَنِ عِبْقَرِي الْخِيَالِ حَلْوِ النَشِيدِ :  
خَطَوَاتٌ ، سَكْرَانَةٌ بِالْأَنْشِيدِ ، وَصَوْتٌ ، كَرَجْمِ نَائِي الْبَعِيدِ  
وَقَوَامٌ ، يَكَادُ يَنْطِقُ بِالْأَلْحَانِ فِي كُلِّ وَقْفَةٍ وَقَعْدِ  
كُلُّ شَيْءٍ مَوْعَّعٌ فَيْكَ ، حَتَّى لَفَحَّةُ الْجِيدِ ، وَاهْتِرَازُ النُّهُودِ  
أَنْتِ . . . ، أَنْتِ الْحَيَاةُ فِي قَدْسِهَا السَّامِي ، وَفِي سَحْرِهَا الشَّجِي الْفَرِيدِ  
أَنْتِ . . . ، أَنْتِ الْحَيَاةُ ، فِي رِقَّةِ الْفَجْرِ وَفِي رَوْنِقِ الرَّيْبِيعِ الْوَالِيدِ  
أَنْتِ . . . ، أَنْتِ الْحَيَاةُ ، كُلُّ أَوَانٍ فِي رُؤَاةٍ مِنَ الشَّبَابِ ، جَدِيدِ  
أَنْتِ . . . ، أَنْتِ الْحَيَاةُ فَيْكَ وَفِي عَيْنِي لِكِ آيَاتِ سَحْرِهَا التَّمْدُودِ  
أَنْتِ دُنْيَا مِنَ الْأَنْشِيدِ وَالْأَحْلَامِ وَالسَّحْرِ وَالْخِيَالِ الْمَدِيدِ

أنتِ فوق الخيال ، والشعر ، والفنِّ      وفوق النهى وفوق الحدودِ  
أنتِ قُدسي ، ومعبدى ، وصباحي ،      وربيعي ، ونشوتي ، وخلودي

\*\*\*

يا ابنة النور ، إنني أنا وحدى      من رأى فيك روعة المعبود  
فدعيني أعيشُ في ظلك العذب      وفي قرب حُسنك المشهود  
عِيشةً للجمال ، والفن ، والإلهام      والطهر ، والسني ، والسجود  
عِيشةً الناسك البتول يُناجى الرِّ      بَّ في نشوة الدهول الشديد  
وامنحيني السلامَ والفرح الرو      حىً يا ضوء فجرى المنشود  
وارحميني ، فقد تهدمتُ في كو      ن من اليأس والظلام مَشِيد  
أنقذيني من الأسي ، فلقد أسيه      تُ لأستطيع حملَ وجودي  
في شعاب الزمان والموت أمشي      تحت عبء الحياة جمَّ القيود  
وأماشي الورى ونفسي كالقرب      ر ، وقلبي كالعالم المهودود :  
ظلمةً ، مالهـا ختامٌ ، وهولٌ      شائعٌ في سكونها المدودود  
وإذا ما استخفني عبثُ الناس      تبسَّمتُ في أمي ووجُود  
بسمه مرَّةً ، كأني أسئلُ      من الشوك ذابلاتِ الورود  
وانفخي في مشاعري مَرَحَ الدنيا      وشُدِّي من عزمي المجهود  
وابعني في دمي الحرارة ، على      أتغني مع المني من جديد  
وأبثُ الوجودَ أنغامَ قلبٍ      بُلبلي ، مكبلٍ بالحديد

فالصباح الجميل يُنعشُ بالدَّفءِ حياةَ المُحطَّمِ المكدود  
أُنقذيني ، فقد سئمتُ ظلامي ! أُنقذيني ، فقد ملتُ ركودي ؟

\*\*\*

آه يا زهرتي الجميلة لو تدرين ما جدَّ في فؤادي الوحيد  
في فؤادي الغريبِ تُخلِّقُ أكوانَ من السحر ذات حسن فريد  
وشمسٌ وضوءٌ ونجومٌ تنثرُ النورَ في فضاءٍ مديد  
وربيعٌ كأنه حُلْمُ الشَّاعِرِ في سَكْرَةِ الشَّبابِ السعيد  
ورياضٌ لاتعرف الحَلَكَ الداجي ولا ثورةَ الخريف العتيـد  
وطيورٌ سحريةٌ تتناغى بأناشيدَ حلوةٍ التفريد  
وقصورٌ كأنها الشَّفَقُ المنخُصوب أو طامة الصباح الوليد  
وغيومٌ رقيقةٌ تهادي كأبديدٍ من نثارِ الورود  
وحياةٌ شمريةٌ هي عندي صورة من حياة أهل الخلود  
كلُّ هذا بشيده سحرُ عينيك وإلهامُ حسنك المعبود  
وحرام عليك أن تهدي ما شادهُ الحُسْنُ في الفؤاد العميد  
وحرام عليك أن تسحقي آمـالَ نفسٍ تصبو لعيشٍ رغيد  
منك ترجو سعادةً لم تجدها في حياة الوري وسحر الوجود  
فالإلهُ العظيمُ لا يرْجُمُ العَبْدَ إذا كان في جلال السجود

## أراك

أراكِ ، فتخلو لدى الحياة ويملاً نفسي صباح الأمل  
 وتنمو بصدري وُروُدٌ عذابٌ ونحنو على قلبي المشتعل  
 ويفتنني فيك فيضُ الحياة وذلك الشَّبَابُ ، الوديع ، النمل  
 ويفتنني سحرُ تلك الشفاه ترفرف من حولهن القُبَل  
 فأعبدُ فيك جمالَ السماء ، ورقةً وُزْدِ الربيع ، الخضيل  
 وطُهرَ النلوج ، وسِجَرَ المروج مُوشِحَةً بشعاعِ الطفل

\*\*\*

أراكِ ، فأخلقُ خلقاً جديداً كأنني لم أبلُ حربَ الوجودِ  
 ولم أحتمل فيه عبثاً ، ثقيلًا من الذكريات التي لاتبديدُ  
 وأضغاثِ أيامي ، الغابرات وفيها الشقي ، وفيها السعيدُ  
 ويفمرُّ روحي ضيالا ، رقيقُ تكلمه رائعاتُ الورد  
 وتسمعي هاته السكائناتُ رقيقَ الأغاني ، وحلوة النشيد  
 وترقص حولي أمانٍ ، طرابُ وأفراحُ عُمرِ خَلِيٍّ ، سعيد

\*\*\*

أراكِ ، فتخفق أعصابُ قلبي وتهتزُّ مثلَ اهتزازِ الوترِ  
ويجرى عليها الهوى ، في حنويٍّ أناملَ ، لُدنًا ، كرتبِ الزهرِ  
فتخطو أناشيدُ قلبي ، سكرى تفرِّدُ ، تحتِ ظلالِ القمرِ  
وتملأني نشوةً ، لا تُحدُّ كأنَّ أصبحتُ فوقَ البشرِ  
أودُّ بروحي عناقَ الوجودِ بمسافيه من أنفسي ، أو شجرِ  
وليلٍ يفرُّ ، ونجْرِ يكرُّ ، ويوشى رداءَ السحرِ

## رثاء فجرٍ

يا أيها الغاب ، المنمقُ بالأشعةِ والورودِ !  
يا أيها النور النقي ! وأيها الفجر البعيد !  
أين اختفيتَ ؟ وما الذي أفصاك عن هذا الوجودِ  
آه ! لقد كانت حياتي فيك حاملةً ، تميد  
بين الجمائل ، والجداول ، والترنم ، والنشيد  
تصني لنجواك الجميلة ، وهي أغنيةُ الخلودِ  
وتعيش في كوني من الغفلات ، فتانٍ ، سعيد  
آه ! لقد غنى الصباحُ ، فدَمَدَمَ الليلُ العتيد  
وتأتقُ النجمُ الوضي ، فأغتمَ الغيمُ الركودِ  
ومضى الردى بسعادتي ، وقضى على الحب الوليدِ

## فِكْرَةُ الْفَنَانِ

عش بالشعور، وللشعور، فإنما  
 شيدت على العطف العميق، وإنها  
 وتظل جامدة الجمال، كثيفة  
 وتظل قاسية الملامح، جهمة  
 لا الحب يرقص فوقها متغنيا  
 متوردة الوجنت سكران الخطا  
 متكللاً بالورد، ينثر للورى  
 كلاً! ولا الفن الجميل بظاهر  
 متوشحاً بالسحر، ينفخ نايه  
 أو يلمس العود المقدس، واصفاً  
 ما فى الحياة من المسرة، والأسى  
 أبداً ولا الأمل المُجفح مُنشدًا  
 تلك الأناشيد التى تهب الورى  
 دنياك كون عواطف وشعور  
 لتجف لو شيدت على التفكير  
 كالهيكل، المهدم، للمهجور  
 كالموت، مقفرة، بغير سرور  
 للناس، بين جداول وزهور  
 يهتز من مراح، وفرط حبور  
 أوراق ورد « اللذة » المنصور  
 فى الكون تحت عمامة من نور  
 المشوب بين خمائل وغدير  
 للموت، للأيام، للديجور  
 والسحر، واللذات، والتغدير  
 فيها بصوت الحالم، المحبور  
 عزم الشباب، وغبطة المصفور

\*\*\*

واجعل شعورك، فى الطبيعة قائداً  
 صحب الحياة صغيرة، ومشى بها  
 فهو الخبير بتيهها المسحور  
 بين الجحام، والدم المهذور

وعَدَاً بها فوق الشواهِق ، باسمًا  
والعقلُ ، رَغَمَ مَشِيبِهِ وَوَقَارِهِ ،  
يَمشَى .. فتصرعه الرياح . ، فَيَنْثَنِي  
ويظلُّ يسألُ نفسه ، متفلسفا  
عَمَّا تُحَجِّبُهُ الكواكبُ خَلْفَهَا  
وهو المهشَّمُ بالعواصف . . ! يالهُ  
متغنِّيًا ، من أعصُرٍ ودهور  
ما زال في الأيامِ جدًّا صغِيرِ  
مُتوجِّعًا ، كالطائرِ المكسور  
مُتَنَطِّسًا ، في خِفَّةِ وغرور :  
من سرُّ هذا العالمِ المستور  
من ساذجٍ ، متفلسفٍ ، مغرور !

\*\*\*

وافنحَ فؤادَكَ للوجود ، واخله  
للشَّلجِ تنثُرُهُ الزواجِعُ ، للأسي  
واتركه يفتحم العواصف . ، هامًا  
ويخوض أحشاءَ الوجود . ، مُغامِرًا  
حَتَّى تعانقه الحياةُ ، ويرتوى  
فتعيشَ في الدنيا بقلبِ زاخِرٍ  
في نشوةٍ ، صُوفِيَّةٍ ، قَدُسيَّةٍ ،  
للیمِّ الأمواجِ ، لالديجور  
للألامِ ، المقذور  
في أفقها ، المتلبِّدِ ، المقرور  
في ليلها ، التَهَيِّبِ ، المحذور  
من نغرها المتأجِّجِ ، المسجور  
بِقِطْرِ المشاعِرِ ، حالمٍ ، مسحور  
هي خير ما في العالمِ للنظور

## قلب الأم

يا أيها الطفلُ الذي قد كان كاللحن الجميلِ  
والوردةِ البيضاءِ ، تعبَق في غيايات الأصيلِ  
يا أيها الطفلُ الذي قد كان في هذا الوجودِ ،  
فَرِحًا ، يَنَاجِي فِتْنَةَ الدنْيَا بِمَسْئُولِ النَشِيدِ  
ها أنتَ ذا قد أَطْبَقْتَ جَفَنَيْكَ أَحْلَامُ المَنُونِ  
وتطايَرتِ زُمُرُ الملائِكِ حَوْلَ مضجِعِكَ الأَمِينِ  
ومضتِ بروحكِ لَلسَّمَاءِ عرائسُ الثُّورِ الحَبِيبِ  
يَحْمِلانَ تيجانًا ، مُدْهَبَةً ، من الزَّهْرِ الغَرِيبِ  
ها أنتَ ذا قد جَلَلْتِكَ سَكِينَةُ الأَبَدِ الكَبِيرِ  
وبكتكِ هاتيكِ القلوبُ ، وَضَمَّتْ القَبْرُ الصَّغِيرِ  
وتفرَّقَ النَّاسُ الَّذِينَ إلى المَقَابِرِ شَيِّعُونَ  
وَنُسُوكَ من دُنْيَاهُمْ ، حَتَّى كَأَنَّ لَمْ يَعْرِفُونَ  
شغلتهمُ عَنكَ الحَيَاةُ ، وَحَرَبُ هَذِي الكائِناتِ  
إِنَّ الحَيَاةَ — وَقَدْ قَضَيْتَ قُبَيْلَ مَعْرِفَةِ الحَيَاةِ —  
بَحْرٌ ، قَرَارَتُهُ الرَّدى ، وَنَشِيدُ لُجَّتِهِ ، شَكَاةُ  
وعلى شواطئهِ القلوبُ نَبْئٌ ، دَامِيَةٌ عُرَاةُ

بحرٌ ، تجبشُ به العواصفُ في العشيّة والغداة  
 وتُظلهُ سُحبُ الظلام ، فلا سكونَ ولا إياةَ  
 نَسَيْتِكَ أمواجُ البَحَيْرَةِ . والنجومُ اللامعة  
 والبلبلُ الشادي ، وهاتيك المروجُ الشاسعة  
 وجداولُ الوادي النضيرِ برقصها وخريرها  
 ومسالكُ الجبل الصفيرِ بعُشْبها وزُهورها  
 حتّى الرفاقُ . . ، فإنهم لبثوا مدى يتساءلون  
 في حيرةٍ مشبوبةٍ : « أين اختفى هذا الأمين ؟ »  
 لكنهم علموا بأنك في الليالي الداجية  
 حملتك غيلانُ الظلام إلى الجبال النائية  
 فتسوكَ مثلَ الناس . . ، وانصرفوا إلى اللهو الجميل  
 بين الخائلِ ، والجداولِ ، والروابي ، والشهولِ  
 ونسُوا وداعةَ وجهك الهادي ، ومنظركَ الوسيمِ  
 ونسُوا تَغَنِّيكَ الجميلَ بصوتك الحلو ، الرخيمِ  
 ومضوا إلى المَرَجِ البهيج ، يطاردون طيورَهُ  
 ويُرْحِزُونَ صُخُورَهُ ، ويعابثون زهورَهُ  
 ويُسَيِّدُونَ من الرمالِ البيضِ ، والحصبِ النضيرِ  
 غُرَفًا ، وأكواحًا تسكُلُهَا الحُشائشُ والزهورُ  
 وَيُنضِّدُونَ من الرُّبَا ، بين التضاحك والحبورِ

طاقاتٍ وردٍ آبدٍ ، تُزرى بأورادِ القصور  
يُلقونها في النهر ، قرباناً لآلهة السرور  
فتسير في التيّار ، راقصةً على نغمِ الخريبر  
كلُّ نسوكَ ، ولم يعودوا يذكرونك في الحياة  
والدَّهر يدفنُ في ظلامِ الموتِ حتى الذكريات  
إلا فؤاداً ، ظلَّ يَحْفُقُ في الوجودِ الى لقاءك  
ويودُّ لو بَدَّلَ الحياةَ إلى المنيةِ ، وأفتدك  
فإذا رأى طفلاً بكاك ، وإن رأى شَبَحًا دعاك  
يُصغى لصوتك في الوجودِ ، ولا يرى إلا بهاك  
يصغى لنفمتك الجميلة في خريبر الساقية  
في رنةِ المزمارِ ، في لغوِ الطيورِ الشادية  
في ضجَّةِ البحرِ المُجَلِّجِ ، في هديرِ العاصفةِ  
في لجةِ الغاباتِ ، في صوتِ الرعودِ القاصفةِ  
في نُغمةِ الحَمَلِ الوديعِ ، وفي أناشيدِ الرعاةِ  
بين المَروجِ المُخَصِرِ والسَفحِ المُجَلِّجِ بالنباتِ  
في آهةِ الشاكي ، وضوضاءِ الجُموعِ الصاخبةِ  
في شهقةِ الباكي يوجَّجُها نواحُ النادبةِ  
في كلِّ أصواتِ الوجودِ : طَروِها وكثيبها  
ورخيمها ، وعنيفها ، وبغيضها ، وحبيبها

ويراك في صُورِ الطبيعة : حلوها ، ودميمها  
 وحزبنها وبهيجها ، وحقيرها وعظيمها  
 في رقة الفجرِ الوديع ، وفي الليالي الخائفة  
 في فتنة الشفقِ البديع ، وفي النجوم الباسمة  
 في رقصِ أمواجِ البحيرة تحت أضواء النجوم  
 في سحرِ أزهارِ الربيع ، وفي تهاويل الغيوم  
 في لمعة البرق الخفوق ، وفي هوي الصاعقة  
 في ذلة الوادي ، وفي كبر الجبال الشاهقة  
 في مشهد الغابِ السكيب ، وفي الورود<sup>(١)</sup> العارية  
 في ظلمة الليلِ الحزين ، وفي الكهوف العارية  
 أعرفتَ هذا القلبَ في ظلماء هاتيك اللجود؟  
 هو قلبُ أمك ، أمك السكرى بأحزان الوجود  
 هو ذلك القلب الذي سيعيش كالشادي الضرب  
 يشدو بشكوى حزنه الداجي إلى النفس الأخير  
 لا ربةً النسيان ترحمُ حزنه وترى شقاءه  
 كلا ! ولا الأيامُ تُبلي في أناملها أساه  
 إلا إذا ضعفَت له الأقدارُ ! كليل الجنون  
 وغدا شقياً ضاحكاً ، تلهو بمرآة السنون  
 هو ذلك القلبُ الذي مهما تقلبت الحياة  
 وتدفعَ الزمنُ المُدمدمُ في شعاب الكائنات

(١) الورود — جمع ورد : الأسد .

وتغنّت الدنيا ، وغرّد بلبل الغاب الجميل  
سيظلّ يعبدُ ذكرياتك : لا يملّ ، ولا يميل  
كالأرض : تمشى فوق تربتها المسرّة ، والشباب  
والليل ، والفجرُ المُجنّحُ ، والعواصفُ ، والسحابُ  
والحبُّ تنبتُ في مواطنه الشقائق ، والورودُ  
والموتُ يُحفَرُ - أينما يخطو - المقابرُ والحدودُ  
وتمرُّ بين فجاجها اللذات ، حاملةً ، تמידً  
سكرى . ، وأشواقُ الورى ترنو إلى الأفق البعيد...  
وتظلُّ ترقص للآسى ، للهو ، أشباحُ الدهورِ  
حتى يواربها ضبابُ الموت في وادي الدثورِ  
وتظلُّ تورقُ ، ثم تزهرُ ، ثم ينشرها الصباحُ  
الموتِ ، للشوك الممزقِ ، للجداول ، للرياحِ  
بسماتُ تغرّ ، حالمٍ ، يفتّرُ في سهو السرورِ  
وورودُ روضٍ ، باسمٍ ، يُصغى لألحان الطيور  
وتظلُّ تخفقُ ، ثم تشدو ، ثم يطويها الترابُ  
قبليّ ، وأطيّارُ ، تغرّد للحياة ، وللشبابِ  
وتظلُّ تمشى في جوارِ الموتِ أفرّاحُ الحياة ! ..  
ويغرّدُ الشحرورُ ما بين الجاجم والرفّاتِ  
والأرضُ حاملةٌ : ، تغنى بين أسراب النجومِ  
أنشودةً للماضي البعيد...، وسورة الأزل القديم...

## حَدِيثُ الْمَضِيرَةِ

« وهو حوارٌ فلسفيٌّ ، مَدَارُهُ الحياة »

« والموت ، والخلود والسكال »

في ليلة مظلمة ، من ليالى الصيف ، خرج الشاعر  
بنفسه من القرية الصغيرة النائمة في سفح الجبل ، وفي  
ذلك السكون الشامل ، والظلام المركوم ، أخذ يمشى  
بين أشجار الزيتون المزهرة في مسلك منفرد ، ثم  
اعتلى تلك الربوة الصغيرة ، حيث كانت مدافن القرية  
وحيث ينام الموتى في صمت الدهور .

وبين القبور الخرساء الجائمة تحت أضواء النجوم ،  
حيث يتحدث كل شيء بحلال الموت وتفاهة الحياة ،  
جلس الشاعر بأقدام متعبة ، ونفس ثائرة ، وأجفان  
قد أذبلتها الأحزان ، فطافت بنفسه الأحلام والأفكار  
والذكريات ، وتقلبت أمامه صور الموت وأمواج الحياة ،  
وتتابعت أمامه رسوم الأيام الكثيرة ، مانام منها في  
قلب الأزل ومالم يزل ينمو في أحشاء الأبد الكبير ،  
وجاشت في قلبه هاته العصور والخواطر ، وعجت  
في صدره عجاج الأمواج الثائرة ، فألقاها إلى الليل  
في النشيد التالي :

أتفنى ابتسامات تلك الجفون ؟ ويحبو توهجُ تلك الحدود ؟  
وتذوى وُرَبِدَاتُ تلك الشفاه ؟ وتهوى إلى التراب تلك النهود ؟



eduekki



وينهدُّ ذاك القـــوا م الرشيق      وينحلُّ صدرٌ ، بديعٌ ، وجيد  
وتريد تلك الوجوه الصَّباحُ      وفتنةُ ذاك الجـــال الفريد  
ويغبرُّ فرعٌ كجَنح الظلام      أنيقُ الغدائر ، جعدٌ ، مديد  
ويُصبحُ في ظلمات القبـــور      هباءً ، حقيراً ، وتُرْباً ، زهيد  
وينجاب سحرُ الغرام القويُّ      وسُكْرُ الشباب ، الغرير ، السعيد

\*\*\*

أنتطوى سماراتُ هذا الوجود ؟      ويذهب هذا الفضاء البعيد ؟  
وتهلك تلك النجومُ القدامي ؟      ويهرم هذا الزمان المهيد ؟  
ويقضى صباحُ الحياة البديعُ ؟      وليلُ الوجود ، الرهيب ، العتيد ؟  
وشمسٌ توشى رداء الغمام ؟      وبدرٌ يضيء ، وغيمٌ يجود ؟  
وضوءٌ ، يرصع موجَ الغدير ؟      وسِحْرٌ ، يطرزُ تلك البرود ؟  
وبجرٌ فسيحٌ ، بعيد القرار ،      يضيئُ ، ويدوي دوى الرعود ؟  
وريحٌ ، تمرُّ مرورَ الملاك ،      وتخطو إلى الغاب خطوَ الوليد ؟  
وعاصفةٌ ، من بنات الجحيم ،      كأنَّ صداها زئيرُ الأسود ؟  
تعيجُ ، فندوي حنايا الجبال      وتمشى ، فهوى صخور النُجود ؟  
وطيرٌ ، تغنى خلال الفصون ،      وتهتف للفجر بين الورود ؟  
وزهرٌ ، ينمقُ تلك التـــلال      وينهلُ من كلِّ ضوء جديد ؟  
ويعبقُ منه أريجُ الغرام      ونفحُ الشباب ، الحيمى ، السعيد ؟

\*\*\*

أبسطو على الكلل ليلُ الفناء      ليئهُو بها الموتُ خافَ الوجود . . .  
وينثرها في الفَراغ الخفيف      كما تنثر الوردَ ريحٌ شرود  
فينضب يمُّ الحياة ، الخضمُّ      ويحمد روحُ الربيع ، الولود  
فلا يلثم النورُ سِحْرَ الحدود      ولا تُنبِتُ الأرضُ غضَّ الورود؟

\*\*\*

كبيرٌ على النفس هذا العفاه !      وصعبٌ على القلب هذا الهمود !  
وماذا على القَدَرِ المستمرِّ      لو استمرَّ الناسُ طعمَ الخلود  
ولم يُخفِّروا بالخراب المحيط      ولم يُفجِّعوا في الحبيب الودود  
ولم يسلكوا للخلود المرحى      سبيلَ الردى ، وظلام اللهود  
فدام الشبابُ ، وسحرُ الغرام ،      وفنُّ الربيع ، ولطفُ الورود  
وعاش الورى في سلام ، أمين      وعيش ، غضير ، رخي ، رغيد ؟  
ولكن هو القدرُ المستبدُّ      يلدُّ له نُوحنا ، كالنَّشيد !

\*\*\*

وكانت بين القبور روح فيلسوف قديم مجهول  
فجاءت زور جسمها الذى أصبح رمة بالية في أحشاء  
التراب ، فأشفقت على الشاعر المسكين من آلامه  
الروحية وحيرته الظامئة ، فأرادت أن تعلمه الحكمة  
وتسكب في قلبه برد اليقين نغاطبته بهاته الأبيات :

تبرَّمتَ بالعيش خوف الفناء      ولو دمتَ حياً سممتَ الخلود  
وعشت على الأرض مثل الجبال      جليلاً ، رهيباً ، غريباً ، وحيد

فلم ترتشف من رضاب الحياة ولم تصطبغ من رحيق الوجود  
 ولم تدر ما فتنة الكائنات وما سحر ذاك الربيع الوليد  
 وما نشوة الحب عند المحبِّ وما صرخة القلب عند الصدود  
 ولم تفتكر بالغد المستراب ولم تحتفل بالمرام البعيد  
 وماذا يُرجى ربيب الخلود من الكون - وهو المقيم المهيد - ؟  
 وماذا يرود ، وماذا يخاف من الكون - وهو المقيم الأييد - ؟  
 تأمل . . . ، فإنَّ نظام الحياة نظام ، دقيق ، بديع ، فريد  
 فما حبَّ العيش إلاَّ الفناء ولا زانهُ غيرُ خوف اللحد  
 ولولا شقاء الحياة الأليم لما أدركَ الناسُ معنى السعود  
 ومن لم يرُغمه قطوبُ الدياجير لم يقتبطُ بالصباح الجديد

\*\*\*

وراق حديث الروح الشاعر العائش بين الهوانف  
 والأشباح . فقال يحاورها :

إذا لم يكن من لقاء المنايا مناصٌّ لمن حلَّ هذا الوجود  
 فأى غناء لهدى الحياة وهذا الصراع ، العنيف ، الشديد  
 وذلك الجمال الذى لا يُملُّ وتلك الأغاني ، وذلك النشيد  
 وهذا الظلام ، وذلك الضياء وتلك النجوم ، وهذا الصعيد ؟؟  
 لماذا نمر بوادى الزمان سراعاً ، ولسكننا لا نعود  
 فنشرب من كل نبعٍ شراباً ومنه الرفيع ، ومنه الزهيد

ومنه اللذيد ، ومنه الكريه ، ومنه المُشيد ، ومنه المُبيد  
وتحمل عَيْثًا من الذكريات وتلك العهود التي لا تعود  
ونشهد أشكال هذى الوجوه وفيها الشقي ، وفيها السعيد  
وفيها البديع ، وفيها الشنيع ، وفيها الوديع ، وفيها العنيد  
فيُصبح منها الولي ، الحليم . ويصبح منها العدو ، الخُمود  
وكلُّ — إذا ما سألنا الحياة — غريبٌ لعمرى بهذا الوجود  
أتيناه من عالمٍ ، لا نراه ، فرأدى ، فما شأنُ هذى الخُمود ؟  
وما شأنُ هذا العدا العنيفِ ؟ وما شأنُ هذا الإخاء الودود ؟

\*\*\*

روح الفيلسوف :

خلقنا لنبلغ شأو الكمال ونصبح أهلاً لمجد الخلود  
وتطهر أرواحنا في الحياة بنار الأسي . . . . . (١)  
ونكسب من عثرات الطريق قوًى ، لا تُهدُّ بدأب الصعود  
ومجداً ، يكون لنا في الخلود أكاليلَ من رائعات الورد

\*\*\*

ومر بالمقبرة سرب من الأرواح ؛ في طريقها  
إلى العالم المجهول ؛ فطارت معها روح الفيلسوف ،  
وخلقت عالم الشك والكآبة لأبنائه البائسين . وظل  
الشاعر يردد بينه وبين نفسه :

« خلقنا لنبلغ شأو الكمال ونُصبح أهلاً لمجد الخلود »

(١) بيان بالأسل والسودة .

ولكن أفكاره الثائرة التي لا تهدأ كانت لا تزال  
تلح عليه بالأسئلة الكثيرة المرهقة فقال يناجى روح  
الفيلسوف التي حسبها ما زالت قريبة منه :

ولكن إذا ما لبسنا الخلود ونلنا كمال النفوس البعيد  
فهل لا نَمَلُّ دوام البقاء ؟ وهل لا نوذُّ كالأجديد  
وكيف يكون هذا « الكمال » : ماذا تراه ؟ وكيف الحدود ؟  
وإنَّ جمال « الكمال » « الطَّمُوحُ » وما دام « فِكْرًا » يُرَى من بعيد  
فما سحره إنَّ غدا « واقعا » يُحَسُّ ، وأصبح شيئًا شهيد ؟  
وهل ينطق في النفوس الحنين وتصيح أشواقنا في خمود  
فلا تطمح النفس فوق الكمال وفوق الخلود لبعض المزيد ؟  
إذا لم يَزُلْ شوقها في الخلود فذاك لعمري شقاء الجدود  
وحربٌ ، ضروسٌ ، - كما قد عهدتُ -

ونصرٌ ، وكسرٌ ، وهمٌّ مديد  
وإنَّ زال عنها فذاك الفناء وإنَّ كان في عرصات الخلود

\*\*\*

كذلك ناجى الشاعر روح الفيلسوف ، ولكنها  
كانت إذ ذاك بعيدة عنه في عالم بعيد لا يسمع نجواه ؛  
وكذلك ضاعت أسئلة الشاعر في ظلمة الليل الذي  
لا يسمع ولا يجيب .

## فِي ظِلِّ وَادِي الْمَوْتِ

نحن نمشي ، وحولنا هاته الأكوام  
من تمشي . . . ، لكن لأية غاية ؟  
نحن نشدو مع العصافير للشمس ،  
وهذا الريح ينفخ نايه  
نحن نتلو رواية الكون للموت  
ولكن ماذا ختام الرواية ؟  
هكذا قلت للرياح فقالت :  
« سل ضمير الوجود : كيف البداية ؟ »

\*\*\*

وتعشى الضباب نفسي ، فصاحت  
في ملالٍ مرّ : « إلى أين أمشي ؟ »  
قلت : « سيرى مع الحياة . . » فقالت :  
« ماجنينا ، ترى ، من السير أمس ؟  
فتهاقت كالمشميم - على الأرض  
وناديتُ : « أين يا قلب رفشي ؟ »

« هاتِه ، على أخط ضريحي »  
« في سكون الدجى وأدفن نفسي »

\*\*\*

« هاتِه فالظلام حولي كثيف . . . »  
« وضباب الأسي مُنيخٌ عليّا . . . »  
« وكؤوس الغرام أترعها الفجر ، »  
« ولكن تحطمت في يديّا . . . »  
« والشباب الغرير ولّى إلى الماضي »  
« وخلّى النحيبَ في شفطيّا ، »  
« هاته ، يا فؤادُ إنا غريبان ، »  
« نصوغ الحياة فنّا شجياً . . . »

\*\*\*

« قد رقصنا مع الحياة طويلاً . . . »  
« وشدونا مع الشباب سنينا . . . »  
« وعدونا مع الليالي حُماةً . . . »  
« في شعاب الحياة حتى دميّنا . . . »  
« وأكلنا الترابَ حتى مللنا . . . »  
« وشربنا الدموعَ ، حتى روينا . . . »

« ونثرنا الأحلام ، والحب ، والآلام ... »

« واليأس ، والأسى ، حيث شبننا ... »

\*\*\*

« ثم ماذا؟ هذا أنا : صرتُ في الدنيا »

« بعيداً عن لهاؤها وغناها »

« في ظلام الفناء ، أدفن أياي ، »

« ولا أستطيع حتى بكائها : »

« وزهور الحياة تهوى ، بصمتٍ »

« مُحزِنٍ ، مُضجِرٍ ، على قدميَّ ، »

« جَفَّ سحر الحياة ، يا قلبي الباكي ، »

« فهَيَّأ ، مجرب الموت ... هَيَّأ ... ! »

## السَّاحِرَةُ

راعها منه صمته ووُجُومُهُ وشَجاها شُحوبُهُ وسُومُهُ  
 فَأَمَرَتْ كَفًّا على شَعْرِهِ العارى برفقٍ ، كأنَّها سَتِيدِيْمَةٌ  
 وَأَطَلَتْ بوجهها الباسم الخلو على خدِّه وقالت تلومُهُ :  
 « أيها الطائر الكئيبُ تَفَرَّدْ إِنَّ شِدْوَ الطيورِ حلوٌ رخيْمَةٌ »  
 « وأجِبْنِي - فدتك نفسى - ماذا؟ أمصابٌ؟ أم ذلك أمرٌ ترومه؟ »  
 « بل هو الفنُّ واكتنابُهُ ، والفنَّانُ جَمٌّ أحزانه وهمومه »  
 « أبدًا يحمل الوجود بما فيه كأنَّ ليس للوجود زعيمُهُ : »  
 « خلَّ عبء الحياة عنك ، وهيا بِمَحْيَا ، كالصبح ، طنقِ أديمُهُ »  
 « فكثير عليك أن تَحْمَلَ الدنيا وتمشى بوقرها لا تَرَبِّمَهُ »  
 « والوجود العظيم أقمِدْ فى الماضى وما أنت ربُّه فتقيمه »  
 « وامشِ فى روضة الشباب طروبًا فحوالكِ وَرْدُهُ وكرومه »  
 « واتلُ للحب والحياة أغانيك وخلَّ الشقاء تدبى كلومه »  
 « واحتضنى ، فإنتى لك ، حتى يتوارى هذا الدجى ونجومه »  
 « ودع الحُبَّ يُنشدُ الشعرَ لليل . ، فكم يُسكر الظلامَ رنيمُهُ . . . »  
 « واقطف الورد من خدودى ، وجيدى ونهودى . . ، وافعل به ما ترومه »  
 « إن للبيت لهوهُ ، الناعمَ الخلو ، وللكونِ حربُهُ وهمومُهُ »

« وارتشف من في الأناشيد سكرى ،  
« وأنس في الحياة . . ، فالعمر قفر ،  
« وازم ليل ، والضباب ، بعيداً  
« فالهوى ، والشباب ، والمرح للـ  
« هي فن الحياة ، يا شاعري الفنان  
« تلك يا فيلسوف ، فلسفة الكو  
« وهي إنجيلي الجميل ، فصدقه  
فرماها بنظرة ، غشيتها  
وتلاها ببسمة ، رشقتها  
والتقت عندها الشفاه . . ، وغنت  
ما تريد الموم من عالم ، ضاءت

فالهوى ساحر الدلال ، وسيمه  
مرعب ، إن ذوى وجف نعيمه  
فنك ، العابس ، الكثير وجومه  
سول تشدو أفناه ونسيمه  
بل لب فنها وصميمه  
ن ، ووحي الوجود هذا قديمه  
وإلا . . ، فلغرام حجيمه . .  
سكرة الحب ، والأسى وغيومه  
منه سكرانه الشباب ، رؤومه  
قبل ، أجفنت لديها همومه  
مسرانه ، وغنت نجومه ؟

\*\*\*

ليلة أسبل الغرام عليها  
وتغنى في ظلها الفرح اللاهي  
أغرق الفيلسوف فلسفة الأحـ

سحره ، الناعم الطير نعيمه  
جف الأسي وخر هشيمه  
زان في بحرها . . ، فمنذا يلومه ؟

\*\*\*

إن في المرأة الجميلة سحرًا  
عقريًا ، يذكي الأسي ، وينيمه

## قَالَ سُبْحَانَ إِلَهِهِ

في جبال الموموم ، أنبت أغصاني ، فرقت بين الصخور بجهد  
 وتغشاني الضباب .. ، فأورقت ، وأزهرت للعواصف ، وحدي  
 وتميلت في الظلام ، وعطرت فضاء الأسي بأنفاس وردى  
 وبمجد الحياة ، والشوق غنيت .. ، فلم تفهم الأعاصير قصدي  
 ورممت للوهاد أفناني الخضر ، وظلت في الثلج تحفر لحدي  
 ومضت بالشذى فقلت : « ستبني في مروج السماء بالعطر تجدي »  
 وتغزلت بالربيع ، وبالفجر فماذا ستفعل الريح بعدى ؟

## مَتَلِّحُ الْعِظْمَةَ

إذا صغرت نفسُ الفتى كان شوقه صغيراً ، فلم يتعب ، ولم يتجشم  
 ومن كان جباراً المطامع لم يزل يلاقى من الدنيا ضراوة قشعم

## الجنة الضائعة

كَمْ مِنْ عُهُودٍ عَذِيبَةٍ فِي عَدْوَةِ الْوَادِي النَّضِيرِ  
فَضِيَّةِ الْأَسْحَارِ مُذْهَبَةِ الْأَصَائِلِ وَالْبَسْكَورِ  
كَانَتْ أَرْقًى مِنَ الزُّهُورِ ، وَمِنْ أَغَارِيدِ الطَّيُورِ  
وَالَّذِ مِنْ سِحْرِ الصَّبَا فِي بَسْمَةِ الْبَطْلِ الْغَرِيرِ  
قَضِيَّتَهَا وَمَعَى الْحَبِيْبَةِ لِأَرْقِيبٍ وَلَا نَذِيرِ  
إِلَّا الطَّفُولَةَ حَوْلَنَا تَلْهُوٌ مَعَ الْحُبِّ الصَّغِيرِ  
أَيَّامٌ كَانَتْ لِلْحَيَاةِ حَلَاوَةٌ الرُّوضِ الْمَطِيرِ  
وِطْهَارَةٌ الْوَجْهِ الْجَمِيلِ ، وَسِحْرٌ شَاطِئُهُ الْمُنِيرِ  
وَوِدَاعَةٌ الْمَصْفُورِ ، بَيْنَ جَدَاوِلِ الْمَاءِ الْغَمِيرِ  
أَيَّامٌ لَمْ تَعْرِفْ مِنَ الدُّنْيَا سِوَى مَرَّحِ الشُّرُورِ  
وَتَتَبُّعِ النَّجْلِ الْأَنْبِقِ وَقَطْفِ تَيْجَانِ الزُّهُورِ  
وَتَسَاقُ الْجَبَلِ الْمَكْلَلِ بِالصَّنَوْبَرِ وَالصَّخُورِ  
وَبِنَاءِ أَكْوَاخِ الطَّفُولَةِ تَحْتَ أَعْيَاشِ الطَّيُورِ  
مَسْقُوفَةٌ بِالْوَرْدِ ، وَالْأَعْيَاشِ ، وَالْوَرَقِ النَّضِيرِ  
نَبِيٌّ ، فَتَهْدِمُهَا الرِّيَّاحُ ، فَلَا نَضِجُ وَلَا نَتُورُ  
وَنَعُودُ نَضْحَكَ الْمَرْوَجِ ، وَلِلزَّنَابِقِ ، وَالغَدِيرِ

ونخاطب الأصداء ، وهي ترف في الوادي المنير  
ونعيد أغنية السواقي ، وهي تلغو بالخرير  
ونظّل نركض خلف أسراب القراش المستطير  
ونمرّ ما بين المروج الأخضر ، في سكر الشعور  
نشدو ، ونرقصُ — كالبلابل — للحياة ، وللحبور  
ونظّل ننثر للفضاء الرَّحْبِ ، والنهر الكبير  
ما في فؤادينا من الأحلام ، أو حُلُوِّ الغرور  
ونشيدُ في الأفق الخضَّب من أمانينا قصور  
أزهى من الشفق الجميل ، وروني المَرَجِ الخضير  
وأجلّ من هذا الوجود ، وكلّ أمجاد الدهور  
أبدأ ، تدلّنا الحياة بكلّ أنواع السرور  
وتبتُّ فينا من مراح الكون ما يغوى الوقور  
فسيّر ، نَنشُدُ لهونا المعبودَ — في كل الأمور  
ونظّل نعبث بالجليل من الوجود ، وبالحقير :  
بالسائل الأعمى ، وبالمتعوه ، والشيخ الكبير  
بالقطة البيضاء ، بالشاة الوديمة ، بالحير  
بالعشب ، بالفن المنور ، بالسنابل ، بالسفير  
بالرمل ، بالصخر الحطّم بالجداول ، بالغدير  
واللهو ، والعبث البري ، الحلو ، مطمحنا الأخير

ونظّل تقفز، أو نثرزُرُ ، أو نغنى ، أو ندور  
 لانسأم اللهُوَ الجليل ، وليس يدركنا الفتور  
 فكأنتنا نحيا بأعصاب من المرح المثير  
 وكأننا نمشي بأقدام مجنحة ، تطير  
 أيام كنا لبّ هذا الكون ، والباقي قشور  
 أيام تفرشُ سُبُلنا الدنيا بأوراق الزهور  
 وتمرُّ أيامُ الحياة بنا ، كأسراب الطيور  
 بيضاء لاعبة ، مُعَرَّدةً مجنحةً بنور  
 وتُرفرف الأفرأحُ فوق رؤوسنا أنى نسير

\*\*\*

آه ! تواری فَجْرِيَ القُدْسِي في ليل الدهور  
 وفني ، كما يفني النشيدُ الحلو في صمت الأثير  
 أوَاهُ ، قد ضاعت على سعادة القلب الغرير  
 وبقيتُ في وادي الزمان الجَهمِ أدأبُ في المسير  
 وأدوسُ أشواك الحياة بقلبي الدامي الكسير  
 وأرى الأباطيل الكثيرة ، والمسآم ، والشرور  
 وتصادمُ الأهواء بالأهواء في كل الأمور  
 ومَدَلَّةَ الحقِّ الضعيف ، وعزَّةَ الظلم القدير !  
 وأرى ابنَ آدَمَ سائراً في رحلةِ العُمُرِ القصير

ما بين أهوال الوجود ، وتحت أعباء الضمير  
متسلقاً جبل الحياة الوعر ، كالشيخ الضرب  
دامى الأكف ، مُمزق الأقدام ، مُغبرّ الشعور  
مُترّج الخطوات ما بين المزالق والصخور  
هالته أشباح الظلام ، وراعه صوت القبور  
ودوى إعصار الأسي ، والموت ، في تلك الوعور

\*\*\*

ماذا جنيتُ من الحياة ومن تجارب الدهور  
غير الندامة والأسى واليأس والدمع الغزير؟  
هذا حصادى من حقول العالم الرَّحْبِ الخطير  
هذا حصادى كلُّهُ ، في يقظة العهد الأخير

\*\*\*

قد كنتُ في زمن الطفولة ، والسذاجة ، والظهور  
أحياً كاتحيا البلابلُ ، والجداولُ ، والزهور  
لانحفل ، الدنيا تدور بأهلها ، أو لاندور  
واليومَ أحيا مُرهق الأعصاب ، مشبوب الشعور  
مُتأجج الإحساس ، أحفلُ بالعظيم ، وبالحقير  
تمشى على قلبى الحياة ، ويزحفُ السكون الكبير  
هذا مصيرى ، يا بنى ، فما أشق المصير !

## السَّعَادَةُ

ترجو السعادة يا قلبي ولو وُجِدَتْ  
 ولا استمحلت حياة الناس أجمعها  
 فما السعادة في الدنيا سوى حُلْمٍ  
 ناجت به الناس أوهاهم مُعْرِبِدَةٌ  
 فَهَبْ كُلُّ يَنَادِيهِ وَيَنْشُدُهُ  
 في السكون لم يشتعل حُزْنٌ ولا أَلَمٌ  
 وزُلْزَلتْ هَاتِه الأكوَانُ والنُّظْمُ  
 ناه تُصَحَّى له أَيَّامها الأَمُّ  
 لَمَّا تَغَشَّتهمُ الأحلامُ والظُّلْمُ  
 كما بما الناس ما ناموا ولا حَلَمُوا<sup>(١)</sup>

\*\*\*

خذ الحياة كما جاءتك مبتسماً  
 وارقص على الورد والأشواك مُتَبَدِّداً  
 واعمل كما تأمر الدنيا بلا مَضَضٍ  
 فمن تألم لم تُرحم مضاضته  
 هذى سعادة دنيانا، فكن رجلاً  
 وإن أردت قضاء العيش في دعة  
 فانترك إلى الناس دُنياهم وضججتهم  
 واجعل حياتك دوحاً مزهراً نصيراً  
 واجعل لياليك أحلاماً مُعَرِّدَةً  
 في كَفِّها، الغارُ أو في كَفِّها العدم  
 غنَّت لك الطير، أو غنَّت لك الرُّجْمُ  
 والجِلمُ شعورك فيها، إنها صنمٌ  
 ومن تجلَّد لم تهزأ به القممُ  
 إن شئتَها - أبد الآباد - بيتسم!  
 شعريَّة لا يُغشى صَفوَّها ندمٌ  
 وما بنوا لنظام العيش أو رَسَمُوا  
 في عزلة الغاب ينمو ثم ينعدمُ  
 إن الحياة وما تدوى به حُلْمُ!

(١) حلم : كان ذا حلم ، أى ذا عقل .

## مِنْ نَجْمَاتِ الرَّعَاةِ

حل الشاعر صيفا بعين دراهم «من الشمال التونسي»  
مستشفيا . وهناك فوق الطبيعة العذراء الساحرة  
والغابات المتتفة الهائلة ، والجبال الشم المجللة بالسنديان  
قضى عهدا شعريا ، وادعا ، خالصا للشعر ، والسحر  
والأحلام . وفي القصيد التالي صورة صغيرة من صور  
الحياة بين تلك الجبال ، والأودية والغابات :

أقبلَ الصُّبْحُ يُعْنَى للحياةِ الناعسة  
والرُّبَى تحلمُ في ظلِّ الغصونِ المائسة  
والصِّبَا تُرقصُ أوراقَ الزهورِ اليابسة  
وتَهَادَى الثُّورُ في تلكِ الفجاجِ الدامسة

\*\*\*

أقبلَ الصُّبْحُ جميلاً ، يملأُ الأفقَ بهاءً  
فتمطى الزهرُ ، والطيرُ ، وأمواجُ المياه  
قد أفاقَ العالمُ الحثي ، وغنى للحياة  
فأفئقِ يا خِرافِي ، وهلمِّي يا شِيَاهِ

\*\*\*

واتبعيني يا شِيَاهِي ، بين أسرابِ الطيورِ  
وأملاي الوادي ثغاءً ، ومِراحا وحبورِ

واسمى همس السواقي ، واشقى عطرَ الزهورِ  
وانظري الوادي ، يغشيه الضبابُ المستنيرُ

\*\*\*

واقطني من كلالِ الأرض ، ومرعاها الجديدُ  
واسمى شبّاتي تشدو ، بمسول النشيدُ  
نغمٌ يصعدُ من قلبي ، كأنفاسِ الورودِ  
ثم بسمو طائرًا ، كالبلبلِ الشادي السعيدُ

\*\*\*

وإذا جئنا إلى الغابِ ، وغطّانا الشجرُ  
فاقطني ماشئتِ من عُشبٍ ، وزهرٍ وثمرِ  
أرضعتهُ الشمسُ بالضوءِ ، وغذّاهُ القمرُ  
وارتوى من قطراتِ الطلِّ ، في وقتِ السحرِ

\*\*\*

وامرّحني ماشئتِ في الوديانِ ، أو فوق التلالِ  
واربضي في ظلها الوارفِ ، إن خفتِ الكلالِ  
وامضعي الأعشابَ ، والأفكارِ في صمتِ الظلالِ  
واسمى الريحَ تُغني ، في شماليّ الجبالِ

\*\*\*

إن في الغاب أزهيرًا ، وأعشابًا عذاب  
يُنشِدُ النَّحْلُ حَوَالِيهَا ، أَهَازِيحًا طِرَابُ  
لَمْ تُدَنَّسْ عِطْرَهَا الطَّاهِرَ أَنْفَاسُ الذَّنَابِ  
لا ، ولا طَافَ بِهَا التَّلَبُّ فِي بَعْضِ الصَّحَابِ !

\*\*\*

وَشَدًّا حَلَوًا ، وَسِحْرًا ، وَسَلَامًا ، وَظِلَالًا  
وَنَسِيًّا سَاحِرَ الْخَطْوَةِ ، مَوْفُورَ الدَّلَالِ  
وَعَصُونًا يَرْقُصُ النُّورَ عَلَيْهَا ، وَالْجَمَانَ  
وَإخْضَرَارًا أَبَدِيًّا ، لَيْسَ تَمْحُوهُ اللَّيَالِ

\*\*\*

لَنْ تَمَلِّي ، يَا خِرَافِي ، فِي حِمَى الْغَابِ الظَّلِيلِ  
فَزَمَانُ الْغَابِ طِفْلٌ ، لَاعِبٌ ، عَذْبٌ ، جَمِيلٌ  
وَزَمَانُ النَّاسِ شَيْخٌ ، عَابِسُ الْوَجْهِ ، ثَقِيلٌ  
يَتَمَشَّى فِي مَلَالٍ ، فَوْقَ هَاتِيكَ السُّهُولِ

\*\*\*

لَكَ فِي الْغَابَاتِ مِرْعَاكٍ ، وَمَسْعَاكِ الْجَمِيلِ  
وَلِيَ الْإِنْشَادُ ، وَالْعَرْفُ إِلَى وَقْتِ الْأَصِيلِ  
فَإِذَا طَالَتْ ظِلَالُ الْكَلَالِ ، الْغَضُّ ، الضَّنِيلِ  
فَهَلُمَّ نَرْجِعُ الْمَسْمَى إِلَى الْحَيِّ النَّبِيلِ

## أيتها الحكيمتين العواصف

أنتِ كالزهرة الجميلة في الغاب ، ولكن ما بين شوكٍ ، ودود  
 والرياحين تُحسب الحسك الشريرَ ، والدودَ من صنوف الورود  
 فافهمي الناس . . . ، إنما الناسُ خلقُ مفسدٌ في الوجود ، غيرُ رشيدُ  
 والسعيدُ السعيدُ من عاش كالليل غريباً في أهل هذا الوجود  
 ودعيهم يميؤنَ في ظلمة الإنمِ وعيشي في طهرك المحمود  
 كالملاك البريء ، كالوردة البيضاء ، كالموج ، في الخضمِّ البعيد  
 كأغاني الطيور ، كالشفق الساحر كالكوكب البعيد السعيد  
 كتلوج الجبال ، يغمُرُها النور وتسمو على غبار الصعيد  
 أنتِ تحت السماء روحٌ جميلٌ صاغه الله من عبير الورود  
 وبنو الأرض كالتقود ، وما أضـ يبعَ عطرَ الورود بين القرود !  
 أنتِ من ريشة الإله ، فلا تُدـ حتى بفنِّ السما لجهل البعيد  
 أنتِ لم تخلقِي ليقربكِ الناسُ ولكن لتُعبدِي من بعيد . . .

## الأبد الصغير

يا قلب! كم فيك من دنيا محجبة  
 يا قلب! كم فيك من كون، قد اتقدت  
 يا قلب! كم فيك من أفق تُمسقه  
 يا قلب! كم فيك من قبر، قد انطقت  
 يا قلب! كم فيك من غاب ومن جبل  
 يا قلب! كم فيك من كهف قد انبجست  
 تمشى ..، فتحمل غصنا مزهرا نصرا  
 أو نحلة جرها التيار مندفعاً  
 أو طائراً ساحراً مبيتاً قد انفجرت  
 يا قلب! إنك كون، مدهش عجب  
 كأنك الأبد المجهول ..، قد عجرت  
 كأنها، حين يبدو فجرها «إرم»<sup>(١)</sup>  
 فيه الشمس وعاشت فوقه الأمم  
 كواكب تتجلى، ثم تنعدم  
 فيه الحياة، وضجت تحته الرمم  
 تدوى به الريح أو نسو به النعم  
 منه الجدول تجري مالها الخيم  
 أو وردة لم تشوّه حُسناً قدم  
 إلى البحار، تُعنى فوقها الدائم  
 في مقلتيه جراح جمّة ودم  
 إن يُسأل الناس عن آفاقه يجموا  
 عنك النهى، واكفهرت حولك الظلم

\*\*\*

يا قلب! كم من مسرات وأخيلة  
 غمت لفجرك صوتاً حالماً، فرحاً  
 ولدته، يتحامي ظلها الألم  
 نشوان تم توارت، وانقضى النغم

(١) إرم: مدينة أسطورية أحاطتها الحرافات بجو خيالي مسحور، فزعمت أنها بنيت على ضفة الجنة: أرضها من مسك وقصورها من خالص الذهب واللؤلؤ والمرجان، وسمائها من سحر مرصع بالأحلام ..، وأنها لازالت إلى يومنا هذا في صحراء العرب، ولكنها محجوبة لا يراها أحد ..

وكم رأى لَيْلِكَ الأشباحَ هائمةً مذعورة تهاوى حولها الرُّجْمُ  
ورَفَرَفَ الألمُ الدَّامى ، بأجنحةٍ من الالهيب ، وأنَّ الحزنُ والنَّدَمُ  
وكم مشتٌ فوقك الدنيا بأجمها حتى توارت ، وسار الموتُ والعدمُ  
وشيدتْ حولك الأيامُ أبنيةً من الأناشيدِ تُبْنَى ، ثم تنهدمُ

\*\*\*

تمضى الحياةُ بماضيها ، وحاضريها وتذهبُ الشمسُ والشيطانُ والقَمُ  
وأنتَ ، أنتَ الخضمُ الرَّحْبُ ، لا فرحَ يَبْقَى على سطحك الطَّغى ، ولا ألمَ

\*\*\*

ياقلبُ كم قد تملَّيتَ الحياةَ ، وكم رَقَصَتِها مَرَحًا ، مامَسَكَ السَّأْمُ  
وكم توشَّحتَ من ليلٍ ، ومن شَفَقِ ومن صباحِ توشَّى ذَيْلَهُ السُّدْمُ  
وكم نسجتَ من الأحلامِ أوديةً قد مزَّقَها الليالى ، وهى تبتسِمُ  
وكم صفزتَ أكاليلاً مُورَدَةً طارتُ بها زَعزَعٌ تدوى وتحتدمُ  
وكم رسمتَ رسوماً ، لا تُشابهها هذى العوالمُ ، والأحلامُ ، والنظْمُ  
كأنها ظلُّ الفِرْدَوْسِ ، حافِلةً بالخورِ ، ثم تلاشتُ ، واختفى الحُلْمُ

\*\*\*

تبلو الحياةَ فتُبلِيبها وتخلعها وتستجدُّ حياةً ، ما لها قدم  
وأنتَ أنتَ : شبابٌ خالدٌ ، نضِرٌ مثل الطبيعة : لا شيبٌ ولا هَرَمُ

## صَوْتٌ مِنَ السَّمَاءِ

في الليل ناديتُ الكواكبَ ساخطاً  
 « الحقلُ يملكه جبارةُ الدجى  
 متأججِجَ الآلامِ والآرابِ :  
 والنهرُ ، للقولِ المقدَّسةِ التي  
 والروضُ يسكنه بنو الأربابِ »  
 لا ترتوى . . والغابُ للحطابِ »  
 وعرائسُ الغابِ الجميلِ ، هزيلةٌ  
 ظمأى لسكلِ جَنَى ، وكلُّ شرابِ »  
 « ماهذه الدنيا الكريهةُ ؟ ويلها !  
 حَقَّتْ عليها لعنةُ الأحقابِ ! »  
 « الكونُ مُصنَعٌ ، يا كواكبُ ، خاشعٌ  
 طال انتظاري ، فانطقي بجوابِ ! »

\*\*\*

فسمعتُ صوتاً ساحراً ، متموجاً ،  
 وحفيفَ أجنحةٍ ترفرفُ في الفضا  
 فوق المروجِ الفيحِ ، والأعشابِ  
 وصدى يرنُّ على سكونِ الغابِ :  
 « الفجرُ يولدُ باسمًا ، مُتَهَلِّلاً  
 في السكونِ ، بين دُجْنَةٍ وضبابِ »

## الصَّبِيحُ الْجَدِيدُ

أَسْكِنِي يَا جِرَاحُ      وَأَسْكِنِي يَا شَجُونُ  
مَاتَ عَهْدَ النَّوَاحِ      وَزَمَانُ الْجَنُونِ  
وَأَطْلُ الصَّبَاحِ      مِنْ وَرَاءِ الْقُرُونِ

\*\*\*

فِي فِجَاجِ الرَّدَى      قَدْ دَفَنْتُ الْأَلَمَ  
وَنَثَرْتُ الدُّمُوعَ      لِرِيَّاحِ الْعَدَمِ  
وَاتَّخَذْتُ الْحَيَاةَ      مِعْرَافًا لِلنَّغَمِ  
أَتَغَنَّى عَلَيْهِ      فِي رَحَابِ الزَّمَانِ

\*\*\*

وَأَذْبَتُ الْأَسَى      فِي جَمَالِ الْوَجُودِ  
وَدَحَوْتُ الْفَوَازَ      وَاحَةً لِلنَّشِيدِ  
وَالضِّيَاءَ وَالظَّلَالَ      وَالشَّدَى وَالْوَرُودَ  
وَالهَوَى وَالشَّبَابَ      وَالْمُنَى وَالْحَنَانَ

\*\*\*

أسكني يا جراحُ وأسكني يا شجون  
مات عهدُ النوحِ وزمانُ الجنون  
وأطلَّ الصبحُ من وراء القرون

\*\*\*

في فؤادي الرقيبُ معبذٌ للجمال  
شيدته الحياةُ بالرؤى ، والخيال  
فتلوتُ الصلاةُ في خشوعِ الظلال . . .  
وحرقتُ البخور . . . وأضأتُ الشموع . . .

\*\*\*

إن سحرَ الحياةِ خالدٌ لا يزول  
فسلامُ الشكاهِ من ظلامٍ يحول  
ثمَّ يأتي الصبحُ وتثمرُ الفصول . . ؟  
سوف يأتي ربيعٌ إن تقضى ربيع

\*\*\*

أسكني يا جراحُ وأسكني يا شجون  
مات عهدُ النوحِ وزمانُ الجنون  
وأطلَّ الصبحُ من وراء القرون

\*\*\*

من وراء الظلام وهدير المياه  
قد دعاني الصباح وريبع الحياه  
يا له من دعاء هز قلبي صداه !  
لم يعد لي بقاء فوق هذى البقاع

\*\*\*

الوداع ! الوداع ! يا جبال الهموم  
ياضباب الأمسى ! يا فجاج الجحيم !  
قد جرى زورقي فى الخضم العظيم ...  
ونشرت القلاع ... فالوداع ! الوداع !

## ذِكْرُ صَبَاحٍ

قدّس الله ذكره من صباح ساحرٍ ، في ظلال غاب جميل  
 كان فيه النسيم ، يرقص سكراناً على الورد ، والنبات البليل  
 وضباب الجبال ، ينساب في رفقٍ بديعٍ ، على مروج السهول  
 وأغانى الرعاة ، تحفّق في الأغوارِ والسهلِ ، والربا ، والتلول  
 ورحابُ القضاة ، تعبق بالألحانِ والمطرِ ، والضياء الجميل  
 والملاكُ الجميلُ ، ما بين ريحانٍ وعُشبٍ ، وسنديانٍ ، ظلّيل  
 يتغنّى مع العصافير ، في الغاب ويرنو إلى الضباب الكسول  
 وشعور الملاك ترقص بالأزهار والضوء ، والنسيم ، العليل

\*\*\*

حُلمٌ ساحرٌ ، به حلم الغابُ فواهاً لحلمه العسول !  
 مثل رؤيا تلوح للشاعر الفنّان في نشوة الخيال الجميل  
 قد تملّيتُ سحره في أناةٍ وحنانٍ ، ولذّةٍ ، وذهول  
 ثم ناديتُ ، حينما طفتح السّحر بأرجاء قلبي المتبّـول  
 يا شعورٌ تميد في الغاب بالرّيحان ، والنور ، والنسيم البليل  
 كبّليني جهاته الخصل المرخّاة في فتنة الدلال الملول  
 كبّلي ياسلاسل الحبِّ أفكا رى ، وأحلام قلبي الضلّيل

كَبِّلِينِي بِكُلِّ مَا فِيكَ مِنْ عَطْرٍِ وَسِحْرٍِ مَقْدَسٍ ، مَجْهُولِ  
كَبِّلِينِي ، فَإِنَّمَا يُصْبِحُ الْفَتَّانُ حَرًّا ، فِي مِثْلِ هَذِي الْكَبُولِ

\*\*\*

لَيْتَ شِعْرِي ! كَمْ بَيْنَ أَمْوَاجِكِ السُّوِ دِ ، وَطَيَّاتِ لَيْلِكَ الْمَسْدُولِ  
مِنْ غَرَامٍ ، مُذَهَّبِ التَّاجِ ، مَيِّتِ وَفَوَادِ ، مُصَفَّدِ ، مَغْلُولِ  
وَزَهْوِيٍّ مِنْ الْأَمَانِيِّ تَدْوِيٍّ فِي شَحُوبِ ، وَخِيَةِ ، وَخَمُولِ  
أَنْتِ لَانْعَامِينَ . . ، وَاللَّيْلِ لَا يَعْلَمُ كَمْ فِي ظِلَامِهِ مِنْ قَتِيلِ  
أَنْتِ أَرْجُوْحَةُ النَّسِيمِ فَيَلِي بِالنَّسِيمِ السَّعِيدِ كُلِّ تَمِيمِ  
وَالْبَنِيِّ لِلْوَرُودِ ، وَالظَّلَلِ ، وَالْأَضْوَاءِ فِي عُرْيِكَ ، الْجَمِيلِ ، النَّبِيلِ  
وَدَعَى الشَّمْسَ وَالسَّمَاءَ تُسَوِّيُّ لَكَ تَاجًا ، مِنْ الضِّيَاءِ الْجَمِيلِ  
وَدَعَى مُزْهَرَ الْعَصُونِ يُغَشِّئُ سِكَ بِأَوْرَاقِ وَرْدِهِ الْمَطْلُولِ

\*\*\*

لِلشَّمْعِ الْجَمِيلِ أَنْتِ ، وَاللَّانْسَا مِ ، وَالزَّهْرِ ، فَالْعَبِي ، وَأَطِيلِي  
وَدَعَى لِلشَّقِيِّ أَشْوَاقَهُ الظَّمَايِ وَأَوْهَامَ ذَهْنِهِ الْمَعْلُولِ  
يَاعَرُوسَ الْجِبَالِ ، يَاوْرِدَةَ الْآ مَالِ ، يَا فِتْنَةَ الْوَجُودِ الْجَمِيلِ  
لَيْتَنِي كُنْتُ زَهْرَةً ، تَتَشَقَّى بَيْنَ طَيَّاتِ شَعْرِكَ الْمَصْقُولِ !  
أَوْ فَرَاشًا ، أَحْوَمُ حَوْلِكَ مَسْحُورًا غَرِيْقًا ، فِي نَشْوَتِي ، وَذَهْوَلِي !  
أَوْ غُصُونًا ، أَحْنُو عَلَيْكَ بِأَوْرَاقِي حُنُوءَ الْمُدَلَّةِ ، الْمَتَبُولِ !  
أَوْ نَسِيْمًا ، أَضْمُ صَدْرَكَ فِي رِفْقِي ، إِلَى صَدْرِي ، الْخَفُوقِ ، النَّحِيلِ  
آه ! كَمْ يُسْعِدُ الْجَمَالَ ، وَيُسْقِي مِنْ قُلُوبِ شَعْرِيَّةٍ ، وَعَقُولِ ...

## الرَّوَايَةُ الْغَرِيبَةُ

ضحكنا على الماضي البعيد ، وفي غدٍ  
ستجعلنا الأيامُ أضحوكةً الآنى  
وتلك هي الدنيا ، روايةٌ ساحرٍ  
عظيمٍ ، غريب الفنِّ ، مبدع آيات  
يمثلها الأحياء في مسرح الأسمى  
ووسط ضبابِ الهمِّ ، تمثيل آموات  
ليشهدَ من خلف الضبابِ فصولها  
ويضحكُ منها - من يمثِّل ما يأتي  
وكلُّ يودِّي دَوْرَهُ . . . ، وهو ضاحكٌ  
على الغير ، مضحكٌ على دوره العانى

## الحاني السكري

قد سكرنا بجبنا واكتفينا يامدبر الكؤوس فاصرف كؤوسك  
واسكب الخمر للعصافير والنحل وخلّ الثرى يضمّ عروسك

\*\*\*

مالنا والكؤوس ، نطلب منها نشوة والغرام سحرٌ وسُكرٌ !  
خلّنا منك ، فالربيع لنا ساقٍ وهذا القضاة كاسٌ وخمر !

\*\*\*

نحن نحيا كالطير ، في الأفق الساجي وكالنحل ، فوق غصّ الزهور  
لا ترى غير فتنة العالم الحيّ وأحلام قلبها المسحور . . .

\*\*\*

نحن نلهو تحت الظلال ، كطفلين سعيدين ، في غرور الطفولة  
وعلى الصخرة الجميلة في الوادي وبين المخاوف الجهولة

\*\*\*

نحن نغدو بين المروج ونمسي ونغني مع النسيم المتغني  
ونناجي روح الطبيعة في الكون ونصفي لقلبها المتغني

\*\*\*

نحن مثل الربيع : نمشي على أرضٍ من الزهر ، والرؤى ، والخيال  
فوقها يرقص الغرام ، ويلهو ويغني ، في نشوة ودلالٍ

\*\*\*

نحن نحيا في جنة من جنان السحر في عالمٍ بعيدٍ . . . ، بعيدٍ . . . ،  
نحن في عُشِّنا المورِّدِ ، نتلو سُورَ الحُبِّ للشَّبابِ السَّعيدِ

\*\*\*

قد تركنا الوجودَ للناسِ ، فليقَ ضُوءاً عليه الحياةَ كيف أردوا  
وذهبنا بلبِّه ، وهو روحٌ وتركنا القشورَ ، وهي جِهادُ

\*\*\*

قد سكرنا بجينا ، واكتفينا طَفَحَ الكَأْسِ ، فاذهبوا ياسُقاةَ  
نحن نحيا فلا نريدُ مزيداً حسبنا ما منحنا يا حياةُ

\*\*\*

حسبنا زهرنا الذي نَنشَى حسبنا كأسنا التي نترشَفُ  
إنَّ في ثمرنا رحيقاً سماوياً وفي قلبنا ربيعاً موقوفاً

\*\*\*

أيها الدهر ، أيها الزمن الجارى إلى غير وجهٍ وقرار !  
أيها الكون ! أيها الفلك الدَّوار بالفجر ، والدجى ، والنهار !

\*\*\*

أيها الموت ! أيها القدر الأعمى ! قفوا حيث أتمُّ ! أو فسـيروا  
ودعونا هنا : تُغني لنا الأحلامُ والحُبُّ ، والوجودُ ، الكبيرُ

\*\*\*

وإذا ما أبيتُمُ ، فاحملونا وهيبُ الغرامِ في شفتينَا  
وزهورُ الحياةِ ، تعبقُ بالعطرِ وبالسحرِ ، والصَّبَابِ في يدينَا

## إِرَادَةُ الْحَيَاةِ

إذا الشعبُ يوماً أراد الحياةَ      فلا بدَّ أن يستجيبَ القدرُ  
ولا بدَّ للَّيلِ أنْ ينجلي      ولا بدَّ للقيدِ أنْ ينكسرَ  
ومن لم يعانقه شوقُ الحياةِ      تبخرَ في جوِّها ، وانذرَ  
فويل لمن لم تشقه الحياةُ      من صفةِ العدمِ المنتصرِ  
كذلك قالت لى الكائناتُ      وحدّنى روحها المستر

\*\*\*

ودمدت الرِّيحُ بين الفِجاجِ      وفوق الجبالِ وتحت الشجرِ :  
« إذا ما طمحتُ إلى غايَةٍ      ركبْتُ المُنى ، ونسيتُ الحذرَ »  
« ولم أنجُبْ وعورَ الشَّبابِ      ولا كُبتَ اللَّهَبِ المستعرِ »  
« ومن لا يحبُّ صعودَ الجبالِ      يعيشُ أبدَ الدهرِ بين الحُفَرِ »  
فهبَّتْ بقلبي دماءُ الشبابِ      وضجَّتْ بصدري رياحُ آخر...  
وأطرقتُ ، أصغى لقصفِ الرعودِ      وعزفِ الرياحِ ، ووقعِ المطرِ

\*\*\*

وقالت لى الأرض - لما سألت : « أيا أمُّ هل تكرهين البشر ؟ »  
« أبارك في الناس أهلَ الطموحِ ومن يستلذُّ ركوبَ الخطرِ »  
« وألعنُ من لا يمشى الزمانَ ، ويقنع بالعيشِ عيشَ الحجرِ »

« هو الكون حتى ، يحب الحياة ويحترق الميت ، مهما كبر »  
 « فلا الأفق يحضن ميت الطيور ، ولا النحل يلثم ميت الزهر »  
 « ولولا أمومة قلبى الرّوم لَمَا ضَمَّتْ الميتَ تلك الحُفْر »  
 « فويل لمن لم تشقه الحياة ، من لعنة العدم المنتصر ! »

\*\*\*

وفي ليلة من ليالى الخريف مثقلة بالأمسى والضجر  
 سكوت بها من ضياء النجوم وغنيت للحزن حتى سكر  
 سألت الدجى : هل تُعيد الحياة لـ أذبلته ربيع العمر ؟  
 فلم تتكلم شفاء الظلام ولم تترّم عذارى السحر  
 وقال لى الغاب فى رقة مُحَبَّبَةٍ مثل خفق الوتر :  
 « يحىء الشتاء ، شتاء الضباب ، شتاء الثلوج ، شتاء المطر »  
 « فينطفىء السحر ، سحر العصور ، وسحر الزهور ، وسحر الثمر »  
 « وسحر السماء ، الشجى ، الوديع ، وسحر المروج ، الشمى ، العطر »  
 « وتهوى العصور ، وأوراقها وأزهارُ عهد حبيب نضر »  
 « وتلهو بها الريح فى كل وادٍ ويدفنها السيل ، أنى عبر »  
 « ويفنى الجميع ، كحلْمٍ بديع ، تآلق فى مهجة واندر »  
 « وتبقى البذور ، التى حَمَلَتْ ذخيرةَ عُمرٍ جميل ، غبر »  
 « وذكري فصول ، ورؤيا حياة ، وأشباح دنيا ، تلاشت زمر »  
 « معانقة - وهى تحت الضباب ، وتحت الثلوج ، وتحت المدر - »

« لَطِيفِ الحَيَاةِ الذِي لَا يُمَلُّ ، وَقَلْبِ الرِّبِيعِ الشَّدِيِّ الخِضْرِ »  
« وَحَالِمَةً بِأَغَانِي الطَّيْرِ — وَور ، وَعِطْرِ الزَّهْرِ ، وَطَعْمِ التَّمْرِ »

\*\*\*

« وَيَمْشِي الزَّمَانُ ، فَتَنمو صُرُوفٌ ، وَتَذوي صُرُوفٌ ، وَتَحيا آخَرَ »  
« وَأُصْبِحُ أَحلامها يَقْظَةً ، مُوشَّحَةً بعموضِ الشَّجَرِ »  
« تُسألُ : أَيْنَ ضبابُ الصَّبَاحِ ، وَسِخْرُ المِساءِ ؟ وَضوءُ القَمَرِ ؟ »  
« وَأَسرابُ ذاكِ الفَرَّاشِ الأَنِيقِ ؟ وَنَحْلٌ يَفْنَى ، وَغَيْمٌ يَمِرُّ ؟ »  
« وَأَيْنَ الأشْعَةُ وَالسَّكائِناتُ ؟ وَأَيْنَ الحَيَاةُ الَّتِي أُنْتَظَرُ ؟ »  
« ظَمِئْتُ إلى النورِ ، فَوَوقَ الفِصونِ ! ظَمِئْتُ إلى الظلِّ تَحْتِ الشَّجَرِ ! »  
« ظَمِئْتُ إلى النَبْعِ ، بَيْنَ المَروِجِ ، يَفْنَى ، وَيَرَقصُ فَوَوقَ الزَّهَرِ ! »  
« ظَمِئْتُ إلى نَعَماتِ الطَّيْرِ ، وَهَمَسِ النَّسِيمِ ، وَلحْنِ المَطَرِ ! »  
« ظَمِئْتُ إلى السَّكونِ ! أَيْنَ الوجودُ وَأَني أَرى العالَمَ المُنْتَظَرَ ؟ »  
« هُوَ السَّكونُ ، خَلْفَ سِباتِ الجَمودِ ، وَفي أَفْقى اليَقِظاتِ السَّكْبَرِ »

\*\*\*

« وَما هُوَ إلا كحَفَقِ الجَنَاحِ حَتى نَمّا شوقُها وَانْتَصَرَ »  
« فَصَدَّعتِ الأَرْضَ مِنَ فَوَوقِها ، وَأَبْصَرتِ السَّكونَ عَذبَ الصُّورِ »  
« وَجاءَ الرِّبِيعُ ، بِأَنعامِهِ . وَأَحلامِهِ ، وَصِبْياهِ العِطْرِ »  
« وَقَبَلِها قُبَلاً في الشِّفاهِ ، تَعيدُ الشِّبابَ الذِي قَدِ غَابَ »  
« وَقالَ لَها : قَدِ مُنِحَتِ الحَيَاةُ ، وَخُلِدَتِ في نَسَلِكِ المُدْخَرِ »

« وباركك النور ، فاستقبلي شبابَ الحياةِ وخِصْبَ العُمرِ »  
 « ومن تعبد النورَ أحلامه ، يُبارِكهُ النورُ أنى ظهر »  
 « إليكِ الفضاء ، إليكِ الضياء ، إليكِ الثرى ، الحالم ، المزدهر ! »  
 « إليكِ الجمالَ الذى لا يبيدُ ! إليكِ الوجودَ ، الرحيبَ ، النضر ! »  
 « فيدى - كما شئتِ - فوق الحقول ، بحلو النمارِ وغضِّ الزَّهرِ »  
 « وناجى النسيمَ ، وناجى الغيومَ وناجى النجومَ ، وناجى القمر »  
 « وناجى الحياةَ وأشواقها ، وفتنةً ، هـذا الوجود الأغر »

\*\*\*

« وشفَّ الدجى عن جمالٍ عميقٍ ، يشبُّ الخيالَ ، ويذكى الفِسكرَ »  
 « ومُدَّ على السكونِ سِحْرَ غريبٍ ، يُصرِّفه ساحرٌ مقتدر »  
 « وضاءت شموعُ النجومِ الوضاء ، وضاع البخورُ ، بخور الزَّهرِ »  
 « ورفرف رُوحٌ ، غريبُ الجمالِ ، بأجنحةٍ من ضياء القمر »  
 « ورنَّ نَشيدُ الحياةِ المقدَّسُ فى هيكلي ، حالمٍ ، قد سُحِرَ »  
 « وأُعلنَ فى السكونِ : أنَّ الطموحَ لهيبُ الحياةِ ، وروحُ الظفرِ »

\*\*\*

« إذا طمحتُ للحياةِ النفوسَ فلا بدَّ أنْ يستجيبَ القدر ! »

## تحت الغصون

هاهنا ، في خائل الغاب ، تحت الزان  
 أنتِ أشهى من الحياة وأبهى  
 مآرقَ الشباب ، في جسمكِ الغضِّ  
 وأدقَّ الجمالِ في طرفكِ الساهي ،  
 وألذَّ الحياةَ حين تغنين  
 وأرى رُوحكِ الجميلةَ عطراً  
 قد تغنيتِ منذُ حينٍ بصوتِ  
 نغمًا كالحياةِ عذباً عميقاً  
 فإذا الكون قطعاً من نشيدِ  
 فلن كنتِ تُنشدِين ؟ فقالتِ :  
 « للضباب الموررد ، المتلاشي  
 « لعماء المظلِّ للشفق الساجي ،  
 « للعبير الذي يرفرف في الأفق  
 « للأغاني التي يرددها الراعي  
 « للربيع الذي يؤجج في الدنيا  
 « ويوشئ الوجودَ بالسحر ، والأحلام  
 والسُّنديان ، والزيتون  
 من جمال الطبيعة الميمون  
 وفي جيدكِ ، البديع ، الثمين !  
 وفي ثغرى الجليل ، الحزين !  
 فأصغى لصوتكِ المحزون  
 ضايعاً في حلاوة التلحين !  
 ناعمٍ ، حالمٍ ، شجيِّ حنون  
 في حنانٍ ، ورقة ، وحنين  
 علويِّ ، منغمٍ ، موزون  
 « للضياء البنفسجيِّ الحزين »  
 كخيالات حالمٍ ، مفتون  
 لسحر الأسمى ، وسحر السكون  
 ويفنى ، مثل العنى ، في سكون  
 بمزمارة الصغير ، الأمين  
 حياة الهوى ، وروح الحنين  
 والزهر ، والشذى ، واللحون

« للحياة التي تغنى حوائى ، على السهل ، والربا ، والحزون »  
 « للينابيع ، للعصافير ، للظل لهذا الثرى ، لتلك الغصون »  
 « للنسيم الذي يضمخ أحلامى بعطر الأفاح والليمون »  
 « للجمال الذي يفيض على الدنيا لأشواق قلبى المشحون »  
 « للزمان الذي يوشح أياى بضوء المنى وظل الشجون »  
 « للشباب السكران ، للأمل المعبود ، لليأس ، للأسى ، للمنون »

\*\*\*

فتنهدت ، ثم قلت : « وقلبي من يغنيه ؟ من يبيد شجونى ؟ »  
 قالت : « الحب » ثم غنت لقلبي قَبلاً عبقرية التلحين  
 قبلاً ، علمت فوادي الأغاني ، وأنارت له ظلام السنين  
 قبلاً ، ترقص السعادة ، والحب على لحنها العميق الرصين

\*\*\*

.. وأقننا ، فقلت كالحالم مسحور : « قولى ، تسكلى ، خبرينى »  
 « أى دنيا مسحورة ، أى رؤيا طالعتنى فى ضوء هذى العيون : »  
 « زمر من ملائك الملائ الأعلى يغنون فى حنوق حنون »  
 « وصبايا رواقص ، يتراشقن بزهر التفاح والياسمين »  
 « فى فضاء ، مؤررد حالم ساه أطافت به عذارى الفنون »  
 « وجحيم توج تحت فراديس كأحلام شاعر مجنون ؟ »  
 « أى خمر مؤجج وطيب مسكر ؟ أى نشوة ، وجنون ؟ »

« أَى خَيْرِ رَشَفْتُ ، بَلْ أَى نَارٍ فِي شَفَايَ ، بَدِيعَةَ التَّكْوِينِ »  
 « وَرَدَّتْهَا الْحَيَاةُ فِي لَهَبِ السَّحْرِ ، وَنُورِ الْهَوَى ، وَظِلِّ الشَّجُونِ »  
 « أَى إِئِمْرٍ مَقْدَسٍ ، قَدْ لَبَسْنَا بُرْدَهُ فِي مَسَانِنَا الْمَيْمُونِ ؟ »  
 قَبْدًا طَيْفُ بَسْمَةٍ ، سَاحِرٌ ، عَذْبٌ ، عَلَى ثَغْرِهَا ، قَوَى الْفَتُونِ  
 وَأَجَابَتْ - وَكَلَّمَا فِتْنَةً تُغْوَى ، وَتُغْرَى بِالْحُبِّ ، بَلْ بِالْجَنُونِ - :  
 « أَبَدًا ! أَنْتَ حَالِمٌ ، فَاسْأَلِ اللَّيْلَ ، فَعِنْدَ الظَّلَامِ عِلْمُ الْيَقِينِ . . . »

\*\*\*

وَسَكَنْنَا ، وَغَرَّدَ الْحُبُّ فِي الْغَابِ ، فَأَصْنَعِي حَتَّى حَفِيفُ الْغُصُونِ  
 وَبِنَى اللَّيْلِ وَالرَّبِيعِ حَوَالِينَا مِنَ السَّحْرِ وَالرَّؤَى وَالسَّكُونِ  
 مَعْبَدًا لِلْجَمَالِ ، وَالْحُبِّ شِعْرِيًّا ، مَشِيدًا عَلَى فِجَاجِ السَّنِينِ  
 تَحْتَهُ يَزْخَرُ الزَّمَانُ ، وَيَجْرِي صَامِتًا ، فِي مَسِيلِهِ الْحَزُونِ  
 وَتَرُّ الْأَيَّامِ ، وَالْحَزْنَ ، وَالْمَوْتَ ، بَعِيدًا عَنِ ظِلِّهِ الْمَأْمُونِ  
 مَعْبَدًا ، سَاحِرًا ، مَبَاخِرُهُ الزَّهْرُ ، عَلَى الصَّخْرِ ، وَالثَّرَى ، وَالغُصُونِ  
 كُلُّ زَهْرٍ يَضُوعُ مِنْهُ أَرِيحٌ مِنْ بَحْرِ الرَّبِيعِ ، جَمُّ الْفَتُونِ  
 وَنَجْمُ السَّمَاءِ فِيهِ شَمْعٌ أَوْقَدَتْهَا لِلْحُبِّ رُوحُ الْقُرُونِ  
 وَمَضَتْ نَسْمَةً تُوسِّسُ لِلْغَابِ ، وَتَشْدُو فِي عُثْقِ ذَلِكَ السَّكُونِ  
 وَطِنِ السَّحْرِ ، وَالْغَرَامِ بَقَلْبِي فَتَوَسَّلْتُ ضَارِعًا بِجَفْوَنِي :  
 « طَهَّرِي يَا شَقِيقَةَ الرُّوحِ ثَغْرِي بِلَهَيْبِ الْحَيَاةِ ، بَلْ قَبْلِي »  
 « إِنْ نَارَ الْحَيَاةِ ، وَالْكُوثرَ الْمُنشُودَ ، فِي ثَغْرِكَ الشَّمْسِ ، الْحَزِينِ »

« فهو كأسٌ سحرية ، لرحيق الخلد      قد صاغها إله الفنون »  
« قبّلي ، وأسكرى نَفريّ الصادي      وقلبي ، وفنتي ، وجنوني »  
« عَنى أستطيع أن أتغنى      لجمال الدجى بوحى العيون »  
« آه ! ما أجمل الظلام ! وأقوى      وحيه في فؤادي المفتون ! »  
« أنظري الليل فهو في حلة الأحلام      يمشى على الذرى والحزون »  
« واسمى الغاب ، فهو قيثارة الكون      تغنى لحبنا الميمون »  
« إن سحر الضباب ، والليل ، والغاب      بعيد المدى ، قوى الفتون »  
« وجمال الظلام يعبق بالأحلام      والحب . . . فابسى ، والتمنى . . . »  
. . . . .  
« آه ! ما أعذب الغرام ! وأحلى      رنة اللثم في خشوع السكون ! »

\*\*\*

... وسكرنا هناك... في عالم الأحلام      تحت السماء ، تحت الفصون ...  
وتواري الوجود عنا بما فيه ...      وغبنا في عالم مفتون ...  
ونسينا الحياة ، والموت ، والسكون      وما فيه من مئى ومَنون

## إلى الشعب

أين يا شعبُ، قلبك الخافق الحساسُ؟ أين الطموحُ ، والأحلامُ؟  
 أين يا شعبُ، روحك الشاعرُ الفنانُ؟ أين ، الخيال والإلهامُ ؟  
 أين يا شعب ، فثك ، الساحرُ، الخلاقُ؟ أين الرسومُ والأنعامُ ؟  
 إنَّ بيمَّ الحياة يدوى حوائيكَ فأين المفاميرُ ، المقدم  
 أين عزم الحياة ؟ لاشيء إلا الموتُ ، والصمتُ ، والأسى ، والظلام  
 عُمرٌ مَيّتٌ ، وقلبٌ خَوّاهُ ، ودمٌ ، لا تثيره الآلام  
 وحياةٌ ، تنامُ في ظلمة الوادى وتنمو من فوقها الأوهام  
 أئ عيش هذا ، وأئ حياة ؟! (رُبَّ عَيْشٍ أَخْفَ مِنْهُ الْحَمَامُ)

\*\*\*

قد مشتُ حولك الفصولَ وغننتك فلم تبتهج ، ولم تترنم  
 ودوت فوقك العواصفُ والأنواء حتى أوشكت أتعظم  
 وأطافت بك الوحوشُ وناشتك فلم تضطرب ، ولم تتألم  
 يا إلهي ! أما تحسُّ ؟ أما تشدو ؟ أما تشتكي ؟ أما تتكلم ؟  
 ملَّ نهرُ الزمانِ أيامك الموتِ وأتقاض عُمرِكَ المتهدم  
 أنت لا مَيّت فيلبي ، ولا حتى فيمشی ، بل كائنٌ ، ليس يُفهم .

أبدًا يرمق الفراغَ بطرفٍ جامدٍ ، لا يرى العوالمَ ، مُظلمٌ  
أثى سِحْرُ دهالكِ ! هل أنتَ مسحورٌ شقيٌّ ؟ أو ماردٌ ، ينهكم ؟

\*\*\*

آه ! بل أنت في الشعوبِ عجوزٌ ، فيلسوفٌ ، مُحطَّمٌ في إهابه  
ماتَ شوقُ الشبابِ في قلبه الذاوي ، وعزمُ الحياةِ في أعصابه  
فمضى ، ينشدُ السلامَ . . . ، بعيداً . . . في « قبور الزمان » خلفَ هضابه  
وهناك . . . اصطفى البقاءَ مع الأمواتِ ، في « قبر أمسه » غيرَ آبه . . .  
وارتضى القبرَ مسكناً ، تتلاشى فيه أيامُ عُمرِهِ المُتَشابهِ  
وتناسى الحياةَ ، والزمنَ الذّاوي وما كا من قديمِ رغبةٍ  
فألزِمَ القبرَ . . . فهو بيتٌ ، شبيهٌ بك في صمتِ قلبه ، وخرابه  
واعبدِ « الأمسَ » وادِّكرِ صورَ الماضي فدنياً العجوزِ ذِكري شباهِ . . .

\*\*\*

وإذا مرَّت الحياةُ حوائيكَ جميلاً ، كالزهرِ غصّاً صباها  
تتغنى الحياةُ بالشوقِ والعزمِ فيحبي قلبَ الجدادِ غناها  
والربيعُ الجميلُ يرقصُ فوق الوردِ ، والعشبِ ، مُنشِداً ، تباها  
ومشى الناسُ خلفها ، يتملّونَ جمالَ الوجودِ في مرآها  
فاحذرَ السحْرَ ! أيها الناسكُ ، القديسُ ، إن الحياةَ يُغوى بهاها  
والربيعُ الفنّانُ شاعِرُها المفتونُ يُغري بهاها وهوها  
وتعلّ الجملَ في رِمَمِ الموتى . . . ! بعيداً عن سحرها وصداها

وتَغزَّلُ بِسِحْرِ أَيامِكَ الأولى ، وَخَلَّ الحَيَاةَ تَخْطُو خَطَاها

\*\*\*

وَإِذَا هَبَّتِ الطَّيُورُ مَعَ الفَجْرِ ، تُغَنِّي بَيْنَ المَرُوجِ الجَمِيلَةِ ،  
وَتُحَيِّي الحَيَاةَ ، وَالعَالَمَ الحَيَّ ، بِصَوْتِ المَحَبَّةِ المَعسُولَةِ ،  
وَالفَرَّاشِ الجَمِيلِ رَفَرَفَ في الرُوضِ ، يَناجِي زَهْرَةَ المَطْلُوبَةِ ،  
وَأفاقَ الوجودِ لِالعَمَلِ المُجْدِي وَالسَّعْيِ ، وَالعَمَانِي الجَلِيلَةِ ،  
وَمَشَى النَاسِ في الشَّعَابِ ، وَفي الغَابِ ، وَفوقَ المَسالكِ المَجهُولَةِ ،  
يَنشُدونَ الجَمالَ ، وَالنُورَ ، وَالأفراحَ وَالنَبيلَةَ ،  
فَاغضُضِ الطَّرْفَ في الظَلَامِ ! وَحاذِرِ فِتْنَةَ النُّورِ . . . ! فَهِيَ رُؤْيَا مَهولَةٌ . . .  
وَصباحُ الحَيَاةِ لا يُوقِظُ العَمَوِيَّ وَلا بِرَحْمِ الجَفونِ السَّكَلِيلَةِ

\*\*\*

كُلُّ شَيْءٍ يُعاطِفُ العَالَمَ الحَيَّ ، وَيُذَكِّي حَيَاتِهِ ، وَيُقَيِّدُهُ ،  
وَالذِي لا يُجاوِبُ السَّكونَ بِالإحساسِ عِبْرَةَ عَلى الوجودِ ، وَجودُهُ ،  
كُلُّ شَيْءٍ يُسائِرُ الزَمَنَ الماشِيَّ بِعَزِيمِ ، حَتى الترابُ ، وَدودُهُ ،  
كُلُّ شَيْءٍ - إِلاكَ - حَيٌّ ، عَطُوفٌ يُؤنِسُ السَّكونَ شَوْقَهُ ، وَنَشِيدُهُ ،  
فَلِإِذَا تَعيشَ في السَّكونِ يا صَاحِبِ ! وَما فيكَ مِنَ جَنَى بِسَنتِيفيدُهُ ،  
لَسْتَ يا شَياخُ لِالحَيَاةِ بِأَهْلِ أَنْتَ دالٌّ يُبَيِّدُها وَتُبَيِّدُهُ ،  
أَنْتَ قَفَرٌ ، جَهَنَّمِيُّ لَعِينٌ ، مُظَلَّمٌ ، قاحِلٌ ، مُرَبِّعٌ جودُهُ ،

لا تَرَفُ الحَيَاةُ فِيهِ ، فَلَ طَيْرٌ يُغْنِي ، وَلا سَحَابٌ يَجُودُهُ

\*\*\*

أنتَ يَا كَاهِنَ الظَّلَامِ حَيَاةً      تعبد الموت . . أنتَ رُوحُ شَقِيٍّ  
كَافِرٌ بِالْحَيَاةِ وَالشُّورِ . . ، لا يُصْنَعُ      إلى السكون قلبه الحَجَرِيُّ  
أنتَ قَلْبٌ ، لا شَوْقَ فِيهِ وَلا عَزَمَ      وهذا داءُ الحَيَاةِ الدَّوِيُّ  
أنتَ دُنْيَا ، يُظَلُّهَا أَفُقُ المَاضِي      وليلُ السكَايَةِ الأَبَدِيُّ  
ماتَ فِيهَا الزَمَانُ ، وَالكَوْنُ إِلاَّ      أمسها الغَابِرُ ، القَدِيمُ ، القَصِيُّ  
وَالشَّقِيُّ الشَّقِيُّ فِي الأَرْضِ قَلْبٌ      يَوْمُهُ مَيِّتٌ ، وَمَاضِيهِ حَيٌّ  
أنتَ لِأشْيَاءٍ فِي الوجودِ ، فَعَادِرُهُ      إلى الموتِ فَهَوَ عَنكَ غَنِيُّ

## التاسع

مَا قَدَسَ المَثَلَ الأَعْلَى وَجَمَلَهُ      فِي أعْيُنِ النَاسِ إِلا أَنَّهُ حَلْمٌ !  
وَلَوْ مَشَى فِيهِمْ حَيًّا لِحَطْمِهِ      قَوْمٌ ، وَقَالُوا بِجَنَابَتِهِ : « إِنَّهُ صَنَمٌ » !  
لا يعبَدُ النَاسُ إِلا كَلَّ مُنْعَدِمٍ      وَلَمَنْ حَابَاهُمْ العَدَمُ !  
حَتَّى العَبَاقِرَةُ الأَفْذَاذُ ، حُبُّهُمْ      يَلْقَى الشَقَاءَ ، وَتَلْقَى مَجْدَهَا الرَّمَمُ !

\*\*\*

النَاسُ لا يَنصِفُونَ الحَيَّ بَيْنَهُمْ      حَتَّى إِذَا مَا تَوَارَى عَنْهُمْ نَدَمُوا !  
الوَيْلُ لِلنَاسِ مِنْ أَهْوَانِهِمْ ! أبدأ      يَمْشِي الزَمَانُ وَرِيحُ الشَّرِّ تَحْتَدِمُ . . .

## نشيد الجبار

أو هكذا غنى بروميثيوس

سأعيش رغمّ الداء والأعداء كالنسر فوق القمّة السماء  
أرنو إلى الشمس المضيئة .. هازناً بالشحّب ، والأمطار ، والأنواء ...  
لا أرمقُ الظلّ الكئيبَ .. ، ولا أرى ما في قرار الهوّة السوداء ...  
وأسيرُ في دنيا للشاعر ، حالمًا ، غردًا - وتلك سعادة الشمراء -  
أصنّي لموسيقى الحياة ، ووحيتها وأذيب روح الكون في إنشائي  
وأصيحُ للصوت الإلهي ، الذي يُحيي بقلبي ميّت الأصداء

\*\*\*

وأقول للقدر الذي لا ينثنى عن حرب آمالي بكل بلاء :  
« لا يطفىء اللهب المؤجّج في دمي موجُ الأسي ، وعواصف الأرزاء »  
« فاهدم فؤادي ما استطعت ، فإنه سيكون مثل الصخرة السماء »  
« لا يعرف الشكوى الذليلة والبكا ، وضراعة الأطفال والضعفاء »  
« ويعيش جبّارًا ، يحدّق دائمًا بالفجر .. ، بالفجر الجميل ، النائي »  
« واملاً طريقي بالخواف ، والدجى ، وزواجر الأشواك ، والحصباء »  
« وانشر عليه الرعب ، وانثر فوقه رُجمَ الردى ، وصواعق البأساء »

« سأظل أمشي رغم ذلك ، عازقاً  
« أمشي بروح حالم ، مُتَوَهِّجٍ  
« النور في قلبي وبين جوارحي  
إني أنا النسائي الذي لا تنتهي  
« وأنا الخضمُّ الرطبُ ، ليس تزيده  
« أمّا إذا خمدت حياتي ، وانقضى  
« وخبا لهيبُ السكون في قلبي الذي  
« فأنا السعيد بأنني مُتَحَوِّلٌ  
« لِأذوبَ في فحْرِ الجمال السرمديّ »

\*\*\*

وأقولُ للجمع الذين تجشّموا  
ورأوا على الأشواك ظلّي هامداً  
وغدوا بِشُبُونِ اللهبِ بكلِّ ما  
ومصّوا يمدّون الخوان ، لياً كلوا  
إني أقول لهم - ووجهي مشرقٌ  
« إن المعاول لا تهتد مناكبي  
« فارموا إلى النار الحشائش .. ، والعبوا  
« وإذا تمرّدت العواصف ، وانتشى  
« ورأيتموني طائرًا ، مترنماً »

هدمي ، وودّوا لو يخرّ بنائي  
فتخيّلوا أنّي قضيتُ دَمائي  
وجدوا . . ، ليشووا فوقه أشلائي  
لحمي ، ويرتشفوا عليه دماي  
وعلى شفاهي بسمّة استهزاء - :  
والنار لا تأتي على أعضائي  
يا معشر الأطفال تحت سمائي  
بالهول قلب القبة الزرقاء  
فوق الزوابع ، في الفضاء النائي »

« فارموا على ظلي الحجارة . ، واخففوا  
« وهناك ، في أمن البيوت ، تطارحوا  
« وترننوا - ماشتم - بشتائى  
« أما أنا فأجيبكم من فوقكم  
« من جاش بالوحي المقدس قلبه  
خوفَ الرياح المهوج والأنواء . . . .  
غثَّ الحديث ، وميت الآراء  
وتجاهروا - ماشتم - بعدائى  
والشمس والشفق الجميل إزائى :  
لم يحتفل بحجارة الفلتاء »

## زوبعة في ظلام

لو كانت الأيام في قبضتى  
وقلت : « ياريح ، بها فاذهبي  
« بل في فجاج الموت . . في عالم  
أذريتها للريح ، مثل الرمال  
وبددها في سحق الجبال  
لا يرقص النور به والظلال ... »

\*\*\*

لو كان هذا الكون في قبضتى  
ما هذه الدنيا ، وهذا الورى  
النار أولى بعبيد الأسي ،  
أقيته في النار ، نار الجحيم  
وذلك الأفق ، وتلك النجوم ؟!  
ومسرح الموت ، وعش الموم

\*\*\*

يا أيها الماضى الذى قد قضى  
يا حاضر الناس الذى لم يزل !  
سخرافة دنياكم هذه  
وصمه الموت ، ولبيل الأبد !  
يا أيها الآنى الذى لم يلد !  
تائهة في ظلمة لا تحدد . . !

## الإيمانية

ما كنت أحسب بعد موتك يا أبى — ومشاعرى عمياء بالأحزان —  
أنا سائلاً للحياة ، وأحسبى من نهرها المتوهج النشوان  
وأعودُ للدينا بقلبي خافقٍ للحبِّ ، والأفراح ، والألحان  
ولكل ما فى الكون من صور المنى وغرائب الأهواء والأشجان  
حتى تحركت السنون ، وأقبلت فتن الحياة بسحرها الفئان  
فإذا أنا ما زلت طفلاً ، مولعاً بتعقب الأضواء والألوان  
وإذا التناؤم بالحياة ورفضها ضربت من البهتان والهديان  
إن ابن آدم فى قرارة نفسه عبدُ الحياة الصادقُ الإيمان

## حرم الأمومة

الأمُ تلتمُ طفلها ، وتضمه حرم ، سماوى الجمال ، مقدس  
تتاله الأفكار . وهى جواره وتعود طاهرة هناك الأنفس  
حرمُ الحياة بظهرها وحنانها هل فوقه حرمٌ أجلُّ وأقدس ؟  
بوركت يا حرم الأمومة والصبا كم فىك تكتمل الحياة وتقدس

## قلب الشَّيْخِ

كل ماهب ، وما دب ، وما  
 من طيور ، وزهور ، وشذى  
 وبجاري ، وكهوف ، وذرى  
 وضياء ، وظلال ، ودجى ،  
 وثلوج ، وضباب عابر ،  
 وتعاليم ، ودن ، ورؤى ،  
 كلها تحيا بقلبي ، حُرَّة

\*\*\*

هاهنا ، في قلبي الرِّحْب ، العميق  
 ها هنا ، تعصف أهوال الدجى  
 ها هنا ، تهتف أصداء الفنا  
 ها هنا ، تمشى الأمانى ، والهوى ،  
 ها هنا الفجر الذى لا ينتهى  
 ها هنا ، ألف خِضْم ، نائر  
 ها هنا ، فى كلِّ آنٍ تتجى

يرقص الموتُ وأطيفُ الوجود  
 ها هنا ، تخفق أحلام الورود  
 ها هنا ، تُعزفُ ألحانُ الخلود  
 والأسى ، فى موكبِ فِخْمِ النشيد  
 ها هنا الليل الذى ليس يبيد  
 خالدِ الثَّورَةِ ، مجهولِ الحدود  
 صُورُ الدنيا ، وتبدو من جديد

## الدنيا الميَّتة

إلى أرى . . . فأرى جموعاً جَمَّةً  
 يدوى حوالبها الزمان ، كأنما  
 وإذا استجابوا للزمان تناكروا  
 وقضوا على روح الأخوة بينهم  
 فَرِحَتْ بهم غولُ النعاسة والفنا  
 لُعبٌ ، نُحَرَكَها المطامعُ ، واللهي  
 وأرى نفوساً ، من دُخان ، جامدٍ  
 مَوْنٌ ، نَسُوا شوقَ الحياة وعزمها  
 وخَبَّابِهِمْ لَهَبُ الوجود ، فما بَقُوا  
 لاقبَلْ يفتحُمُ الحياة ، ولا حِجِّي  
 بل في التراب المَيِّتِ ، في حزنِ الثرى  
 وتموت خاملةً ، كزهرٍ بائس  
 أبداً تُحْدَقُ في التراب . . . ، ولا تَرَى  
 الشاعر الموهوبُ يُهْرِقُ فَنَّهُ  
 ويعيش في كونٍ ، عقيمٍ ، مَيِّتٍ  
 والعالم المُحرَّرِ يُنْفِقُ عُمرَهُ  
 لَكَنها تَحِيماً بلا ألباب  
 يدوى حوائجَ جنيدل و تراب  
 و تراشقوا بالشوك والأحصاب  
 جهلاً وعاشوا عيشة الأغرَاب  
 ومطامعُ السَّلابِ والغلابِ  
 وصفائرُ الأحقاد والآراب  
 مَيِّتٍ ، كأشباح ، وراء ضباب  
 ونحروا كمتحرك الأنصاب  
 إلا كمتحرك من الأخشاب  
 بسـمو سُمُو الطائر الجواب  
 تنمو مشاعرهم مع الأعشاب  
 ينمو ويدبُّل في ظلام الغاب  
 نورَ السماء . . . ، فروحها كتراب . . . !  
 هدراً على الأقدام والأعتاب  
 قد شـيـدته غباوة الأحقاب  
 في فهم ألفاظٍ ، ودرس كتاب

يَحْيَا عَلَى رِمَمِ الْقَدِيمِ الْمُجْتَوَى كَالدُّودِ فِي حَمِّ الرَّمَادِ الْخَلَابِي  
وَالشَّعْبُ بَيْنَهُمَا قَطِيعٌ ضَائِعٌ دُنْيَاهُ دُنْيَا مَا كُلِّ وَشَرَابِ

\*\*\*

الْوَيْلُ لِلْحَسَّاسِ فِي دُنْيَاهُمْ مَاذَا يُبْلَقُ مِنْ أَيْ وَعَذَابِ !

## إِلَى طِفْغَاهِ الْعَالَمِ

أَلَا أَيُّهَا الظَّالِمُ الْمُسْتَبِدُّ حَبِيبُ الظَّالِمِ ، عَدُوُّ الْحَيَاةِ  
سَخِرْتَ بِأَنَاتِ شَعْبٍ ضَعِيفٍ وَكَفَكَ مَحْضُوبَةً مِنْ دِمَائِهِ  
وَمَرَّتْ نُشُوهُ سِخْرَى الْوُجُودِ وَتَبْذُرُ شَوْكَ الْأَمْسِ فِي رُبَاةِ

\*\*\*

رُؤْيَدِكَ ! لَا يَخْدَعُنِكَ الرَّبِيعُ وَصَحْوُ الْفَضَاءِ ، وَضَوْءُ الصَّبَاحِ  
فِي الْأَفْقِ الرَّحْبِ هَوْلُ الظَّالِمِ وَقِصْفُ الرَّعُودِ ، وَعَصْفُ الرِّيحِ  
حَذَارٍ ! فَتَحَتِ الرَّمَادِ اللَّهَيْبُ وَمَنْ يَبْذُرُ الشَّوْكَ يَجْنِ الْجِرَاحِ

\*\*\*

تَأْمَلِ ! هُنَالِكَ . . . أَنَّى حَصَدْتَ رُوسَ الْوَرَى ، وَزَهْوَرَ الْأَمَلِ  
وَرَوَّيْتَ بِالْدَمِ قَلْبَ التَّرَابِ وَأَشْرَبْتَهُ اللَّدْمَعَ ، حَتَّى تَمَلَّ  
سَيَجِرُ فَكَّ السَّيْلِ ، سَيْلُ الدَّمَاءِ وَيَأْكُلُكَ الْعَاصِفُ الْمَشْتَعِلُ

## بشكوى ضائعة

يا ليل! ما تصنع النفس التي سكنت  
 هذا الوجود ، ومن أعدائها القدر ؟  
 ترضى وتسكت ؟ هذا غير محتمل !  
 إذا ، فهل ترفض الدنيا ، وتنحجر ؟  
 وإذا جنون ، أعمى ، كله جزع  
 بالك ، ورأى مريض ، كله خور !  
 فإيما الموت ضرب من حباله  
 لا يفلت الخالق ما عاشوا ، فما النظر ؟  
 هذا هو اللغز ، عماءه وعقده  
 على الخليقة ، وحش ، فانتك حذر  
 قد كبّل القدر الضاري فرأته  
 فما استطاعوا له دفقا ، ولا حزروا  
 وخاط أعينهم ، كي لا تشاهده  
 عين ، فتعلم ما يأتي وما يذر  
 وحاطهم بغير من حباله  
 لا الموت يُنقذهم من هول صولته  
 فإلهم أبدا من بطشه وزر  
 حار المساكين ، وارتاعوا ، وأعجزهم  
 وهم يمشون في دنيا مشيدة  
 وكيف يحذر أعمى ، مُدليج ، تعب ،  
 هول الظلام ، ولا عزم ولا بصر ؟  
 قد أيقنوا أنه لا شيء . يُنقذهم  
 فاستسلموا لكون الرعب ، وانتظروا .

ولو رأوه لسارت كى تحاربه من الورى زمره ، فى إثرها زمر  
 وثارت الجن ، والأملاك ناقه والبحر ، والبر ، والأفلاك ، والعصر  
 لكنه قوه تملى إرادتها سراً ، فنعنو لها قهراً ، ونأمر  
 حقيقه ، مره ، يا ليل ، مبهضه كالموت ، لكن إليها الورد الصدر

\*\*\*

تنهد الليل ، حتى قلت : « قد نثرت وعاد للصمت . . ، يضى فى كآبته  
 تلك النجوم ، ومات الجن والبشر »  
 وقهقهه القدر الجبار ، سخرية بالكائنات . تصاحك أيتها القدر !  
 تمشى إلى العدم المحتوم ، باكية طوائف الخلق ، والأشكال والصور  
 وأنت فوق الأسمى والموت ، مبتسم ترنو إلى الكون ، يُبنى ، ثم يندثر

## الغَابَاتُ

بيتٌ، بَنَتْهُ لَى الْحَيَاةِ مِنَ الشَّدَى ،  
 بيتٌ ، من السَّحَرِ الْجَمِيلِ ، مُشَيَّدٌ  
 فِي الْغَابِ سِحْرٌ ، رَائِعٌ مُتَجَدِّدٌ  
 وَشَدَى كَأَجْنَحَةِ الْمَلَائِكِ ، غَامِضٌ  
 وَجَدَاوِلٌ ، تَشْدُو بِمَسْوَلِ الْغِنَا  
 وَمُخَارَفٌ نَسَجَ الزَّمَانَ بِسَاطِهَا  
 وَحَنًا عَلَيْهَا الدَّوْحُ ، فِي جَبْرُوتِهِ  
 فِي الْغَابِ ، فِي تِلْكَ الْمُخَارِفِ ، وَالرُّبَا ،  
 كَمِ مِنْ مَشَاعِرَ ، حَلْوَةٍ ، مَجْهُولَةٍ  
 غَنَّتْ ، كَأَسْرَابِ الطَّيُورِ ، وَرَفْرَفَتْ  
 وَلَكَمْ أَصْحَتْ إِلَى أَنْشِيدِ الْأَسَى  
 وَإِلَى الرِّيَاحِ النَّائِمَاتِ كَأَنَّهَا  
 وَإِلَى الشَّبَابِ ، مُغْنِيًا ، مُتَرَنِّمًا  
 وَسَمِعْتُ لِلطَّيْرِ ، الْمُرْتَدِّ فِي الْفِضَا  
 وَإِلَى أَنْشِيدِ الرَّعَاةِ ، مُرْفَقَةً  
 وَإِلَى الصَّدَى ، الْمِعْرَاحِ ، يَهْتَفُ رَاقِصًا  
 وَالظَّلَّ ، وَالْأَضْوَاءَ ، وَالْأَنْفَامَ  
 لِلْحَبِّ ، وَالْأَحْلَامَ ، وَالْإِلْهَامَ  
 بَاقِي عَلَى الْأَيَّامِ وَالْأَعْوَامِ  
 سَاهٍ يُرْفَرَفُ فِي سَكُونِ سَامِ  
 وَتَسِيرٌ ، حَائِلَةٌ ، بِغَيْرِ نِظَامِ  
 مِنْ يَابِسِ الْأَوْرَاقِ وَالْأَكْثَامِ  
 بِالظَّلِّ ، وَالْأَعْصَانِ وَالْأَنْسَامِ  
 وَعَلَى التَّلَاعِ الْخَضِرِ ، وَالْآجَامِ  
 سَكْرَى ، وَمِنْ فِكْرٍ ، وَمِنْ أَوْهَامِ  
 حَوْلِي ، وَذَابَتْ كَالدَّخَانِ ، أَمَامِي  
 وَتَنَهَّدِ الْآلَامِ وَالْأَسْقَامِ  
 فِي الْغَابِ تَبْكِي مَمِيَّتَ الْأَيَّامِ  
 حَوْلِي بِالْحَانَفِ الْغَرَامِ الْظَامِي  
 وَالسَّنْدِيَانِ ، الشَّامِخِ ، الْمَدَامِي  
 فِي الْغَابِ ، شَادِيَةً كَيْتْرَبِ يَمَامِ  
 بَيْنَ الْفَجَاجِ الْفَيْسِحِ وَالْآكَامِ

حتى غَدَا قَلْبِي كَنَابِي ، مُتَرَعٍ  
 فشدوتُ باللحنِ الغريبِ مُجَنِّحًا  
 في الغابِ ، دنيا للخيالِ ، وللرؤى ،  
 لله يومَ مضيتُ أولَ مرَّةٍ  
 ودخلتُه وحدي ، وحوالي موكبٍ  
 ومشيتُ تحتَ ظِلِّهِ مُتَهَيِّبًا  
 أرنو إلى الأُدْوَا حِ ، في جبروتها  
 قد مسَّها سِحْرُ الحَيَاةِ ، فأورقتُ  
 وأصيحُ للصَّمتِ المفكرِ ، هاتِفًا  
 فإذا أنا في نشوةٍ شعريَّةٍ  
 ومشاعري في بقعةٍ مسحورةٍ

وَسَنِي ، كبقعةِ آدمٍ لَمَّا سَرَى  
 وشجتهِ موسيقى الوجودِ ، وعانقتُ أحلامه ، في رقَّةٍ وسلام  
 ورأى الفرديسَ ، الأنيقةَ ، تنثني  
 ورأى الملائكَ ، كالأنشعةِ في الفضاءِ  
 وأحسَّ رُوحَ السكونِ تخفقُ حوله  
 والكائناتِ ، تحوطه بجنانها  
 حتى تملأُ بالحياةِ كِيَانَهُ  
 في جسمه رُوحُ الحَيَاةِ النامى  
 في مُتَرَفِ الأزهارِ والأكامِ  
 تنسابُ ساجدةً ، بغيرِ نظامِ  
 في الظلِّ ، والأضواءِ ، والأنسامِ  
 وبجَبِّها ، الرحبِ ، العميقِ ، الطامى  
 وسعى وراءَ مواكبِ الأيامِ

(١) بيان بالأمل والمسودات .

ولربِّ صُبْحِ غَافٍ ، مُتَحَبِّبٍ  
 تَتَنَفَّسُ الدُّنْيَا ضَبَابًا ، هَائِمًا  
 والرِّيحُ تُخَفِّقُ فِي الفِضَاءِ ، وَفِي الثَّرَى  
 بَاكَرَتْ فِيهِ الغَابِ . مَوْهُونَ القُوَى  
 وَجَلَسَتْ تَحْتَ السَّنْدِيَانَةِ ، وَاجِمًا  
 فَأَرَى اللَّبَانِيَّ فِي الضَّبَابِ ، كَأَنَّهَا  
 أَوْ عَالَمٌ ، مَا زَالَ يُؤَلِّدُ فِي فِضَاءِ  
 وَأَرَى الفِجَاجَ الدَّامِسَاتِ ، خِلَالَهُ  
 فَكَأَنَّهَا شَعْبُ الجَحِيمِ ، رَهِيبةٌ  
 صُورٌ ، مِنَ الفَنِّ المُرَوِّعِ ، أَعْجَزَتْ  
 وَلِكَمِّ مَسَاءِ ، حَالِمٍ مُتَوَشِّحٍ  
 قَدَسَرَتْ فِي غَابِي ، كَفَكْرٍ ، هَائِمٍ  
 شَعْرِي ، وَأَفْكَارِي ، وَكُلُّ مِشَاعِرِي  
 وَالأَفْقُ يَزْخَرُ بِالأَشِعَّةِ وَالشَّذَى  
 وَالغَابُ سَاجٍ ، وَالحَيَاةُ مُصِيخَةٌ  
 وَعُرُوسُ أَحْلَامِي تُدَاعِبُ عُوْدَهَا  
 رُوحٌ أَنَا ، مَسْحُورَةٌ ، فِي عَالَمٍ

فِي كِلَّةٍ مِنْ زَعَزَعٍ وَغَمَامٍ  
 مُتَدَفِّعًا فِي أَقْفِهِ العُتْرَامِي  
 وَعَلَى الجِبَالِ الشَّمْسُ ، وَالأَكَامِ  
 مُتَخَاذِلَ الخُطُوطِ وَالأَقْدَامِ  
 أَرْنُو إِلَى الأفقِ الكَثِيبِ ، أَمَامِي  
 فِكْرٌ ، بِأَرْضِ الشُّكِّ وَالإِبْهَامِ  
 السُّكُونِ ، بَيْنَ غِيَابِ وَسِدَامِ  
 وَمَشَاهِدِ الوُدْيَانِ وَالأَجَامِ  
 مَلْفُوفَةٌ فِي غُبُشَةٍ وَظَلَامِ  
 وَخَى القَرِيضِ وَرِبْشَةَ الرِّسَامِ  
 بِالظَّلِّ ، وَالضَّوءِ الحَزِينِ الدَّامِي  
 فِي نَشْوَةِ الأحْلَامِ وَالإِلْهَامِ  
 مَنشُورَةٌ لِلشُّورِ وَالأَنْسَامِ  
 وَالأَرْضُ بِالأَعْشَابِ وَالأَكَامِ  
 وَالأَفْقُ ، وَالشَّفَقُ الجَمِيلُ ، أَمَامِي  
 قَيْرُنٌ قَلْبِي بِالصَّدَى وَعِظَامِي  
 فَوْقَ الزَّمَانِ الزَّاخِرِ الدَّوَامِ

\*\*\*

فِي الغَابِ ، فِي الغَابِ الحَبِيبِ ، وَإِنَّهُ  
 طَهَّرَتْ فِي نَارِ الجَمَالِ مِشَاعِرِي  
 حَرَمُ الطَّبِيعَةِ وَالجَمَالِ السَّامِي  
 وَلَقِيتُ فِي دُنْيَا الخِيَالِ سَلَامِي

ونسيتُ دنيا الناس ، فهي سخافة  
 وقبستُ من عطفِ الوجودِ وحبِّه  
 فرأيتُ ألوانَ الحياةِ نضيرةً  
 ووجدتُ سِحْرَ الكونِ أسْمَى عنصراً  
 فأهبتُ - مسحورَ المشاعر ، حالمًا  
 « المعبدُ الحثيُّ المقدَّسُ ها هنا !  
 « فاخلعْ مُسوحَ الحزنِ تحتِ ظلاله  
 « وارفعْ صلاتكَ للجمال ، عميقةً  
 « واصدحْ بألحانِ الحياة ، جميلةً  
 « واخفقْ معِ العطرِ المرْفرفِ في الفضا  
 « ومعِ الينابيعِ الطليقةِ ، والصدى ،  
 وذروتُ أفكارى الحزينةَ للدجى  
 ومضيتُ أشدُّ للأشعةِ ساخرًا  
 وهتفتُ : « ياروحَ الجمالِ ! تدفِّقِي  
 « وتغافلِي كالنور ، في رُوحى التى  
 « أنتِ الشعورُ الحثيُّ يزخر دافقًا كالنار ، في روحِ الوجودِ النامى  
 « ويصوغُ أحلامَ الطبيعةِ ، فاجعلِي عُمرِي نشيدًا ، ساحرَ الأنغام  
 « وشذاً يضيِّعُ مع الأشعةِ والرؤى فى معبدِ الحقِّ الجليلِ السامى »

(١) بيان بالأصل والمسودات .

## فلسفة الثعبان المقدس

فلسفة الثعبان المقدس هي فلسفة القوة المثقفة في كل مكان . وكما تحدث الثعبان في القطعة التالية إلى الشحورور بلغة الفلاسفة المتصوفة حينما حاول أن يزين له الهلاك الذي أوقعه فيه ، فنهاه « تضحية » وجعله السبيل الوحيد للخلود المقدس . . .

كذلك تتحدث اليوم سياسة الغرب إلى الشعوب الضعيفة بلغة الشعر والأحلام حينما نحاول أن تسوغ طريقتهما في ابتلاعها والعمل لقتل ميزات القومية فتسميها : « سياسة الإدماج » وتتكلم عنها كالسبيل الوحيد الذي لامعدى عنه لهاته الشعوب إذا أرادت نيل حقوقها في هذا العالم ، وبلوغ الكمال الإنساني المنشود ، ولكن الفناء حقيقة شديعة ، مبغضة ، لا ينقص من فظاعتها وكرهها كل مافي التصوف والفلسفة والشعر من خيال وأحلام .

كانَ الربيعُ الحثيُّ روحًا ، حالمًا ، غصَّ الشباب ، معطرًا الجلباب  
يمشى على الدنيا ، بفكرة شاعرٍ ، ويطوفها ، في موكبٍ خلاب  
والأفقُ يملأه الحنانُ ، كأنه قلبُ الوجود المنتبج الوهاب  
والسكون من طهر الحياة كأنما هو معبدٌ ، والغابُ كالحراب  
والشاعرُ الشحورورُ يرقص ، منشداً للشمس ، فوق الوردِ والأعشاب

شِعْرَ السَّعَادَةِ وَالسَّلَامِ ، وَنَفْسُهُ  
 وَرَأَى ثَعْبَانُ الْجِبَالِ ، فَعَمَّهُ  
 وَانْقَضَ ، مُضْطَفِنًا عَلَيْهِ ، كَأَنَّهُ  
 بُغِيَ الشَّقِيُّ ، فَصَاحَ فِي هَوْلِ الْقَضَا  
 وَتَدَفَّقَ الْمَسْكِينُ يَصْرُخُ نَائِرًا :  
 « لَأَشْيءٌ ، إِلَّا أَنِّي مَتَغَرَّلُ  
 « أَلْقَى مِنَ الدُّنْيَا حَنَانًا طَاهِرًا  
 « أَيْعُدُّ هَذَا فِي الْوُجُودِ جَرِيمَةً ؟ !  
 « لَا [أَيْنَ؟] ، فَالْشَّرْعُ لِلْقَدْسِ هَاهُنَا  
 « وَسَعَادَةُ الضَّعْفَاءِ جُرْمٌ . . . مَالَهُ  
 « وَلْتَشْهَدْ الدُّنْيَا الَّتِي غَنِيَّتُهَا  
 « إِنْ السَّلَامَ حَقِيقَةٌ ، مَكْذُوبَةٌ  
 « لِأَعْدَلِ ، إِلَّا إِنْ تَعَادَلَتِ الْقُوَى  
 فَتَبَسَّمَ الثَّعْبَانُ بِسَمَةِ هَازِيءٍ  
 « يَا أَيُّهَا الْفَرُّ الْمَثْرُورُ ، إِنِّي  
 « وَالْفَرُّ يَعْذِرُهُ الْحَكِيمُ إِذَا طَعَى  
 « فَاصْبِرْ عَوَاطِفَكَ الْجَوَامِحَ ، إِنَّهَا  
 « إِنِّي إِلَهُ ، طَالَمَا عَبَدَ الْوَرَى  
 « وَتَقَدَّمُوا لِي بِالضَّحَايَا مِنْهُمْ

سَكْرَى بِسِحْرِ الْعَالَمِ الْخِلَابِ  
 مَا فِيهِ مِنْ مَرَّحٍ ، وَفَيْضِ شَبَابِ  
 سَوَطِ الْقَضَاءِ ، وَلَعْنَةُ الْأَرْبَابِ  
 مَتَلَفَّتَا لِلصَّائِلِ الْمُتَتَابِ  
 « مَاذَا جَنَيْتُ أَنَا لِحَقِّ عِقَابِي !  
 « بِالكَائِنَاتِ ، مَغْرَدٌ فِي غَابِي  
 « وَأَبْسُهَا نَجْوَى الْحَبِّ الصَّابِي  
 « أَيْنَ الْعَدَالَةُ يَارْفَاقَ شَبَابِي ؟  
 « رَأَيْ الْقَوَى ، وَفِكْرَةَ الْغَلَابِ !  
 « عِنْدَ الْقَوَى سَوَى أَشَدِّ عِقَابِ !  
 « حَلْمَ الشَّبَابِ ، وَرُوعَةَ الْإِعْجَابِ  
 « وَالْعَدْلَ فِلْسَفَةَ اللَّهِيْبِ الْخِلَابِي  
 « وَتَصَادَمَ الْإِرْهَابِ بِالْإِرْهَابِ  
 « وَأَجَابَ فِي سَمْتٍ ، وَقَرَّطِ كِذَّابِ :  
 « أَرْنِي لثُورَةَ جِهْلِكَ الثَّلَابِ  
 « جِهْلُ الصَّبَا فِي قَلْبِهِ الْوَتَابِ  
 « شَرِدْتَ بُلْبُوكَ ، وَاسْتَمِعْ لِحَطَابِي  
 « ظَلِّي ، وَخَافُوا لَعْنَتِي وَعِقَابِي  
 « فَرَحِينِ ، شَانَ الْعَابِدِ الْأَوَابِ

« وسعادة النفسِ التقيّةِ أنّها  
« فتصير في رُوحِ الألوهةِ بضعةً ،  
« أفلا يسرُّك أن تكون ضحيتي  
« وتكونَ عزماً في دمي ، وتوهجاً  
« وتذوبَ في رُوحِي التي لا تنتهي  
« إني أردتُ لك الخلودَ ، مؤلّهاً  
« فكّرْ ، لتدركَ ما أريدُ ، وإنّه  
« فأجابه الشعورُ ، في غصصِ الرّدى  
« لا رأىَ للحقِّ الضعيفِ ، ولا صدَى ،  
« فافعلْ مشيئتك التي قد شئتُها  
« يوماً تكونُ ضحيةَ الأربابِ  
« قدسيّةً ، خلصتُ من الأوثابِ  
« فتحلّ في لحمي وفي أعصابي  
« في ناظريّ ، وحِدّةً في نابي  
« وتصيرَ بعضَ أوهتي وشبابي . . ؟  
« في رُوحِي الباقي على الأحقاب . .  
« أسمى من العيشِ القصيرِ النّابي  
« والموتُ يخنقه : « إليك جوابي :  
« الرّأى ، رأى القاهرِ الغلابِ  
« ورحمُ جلالك من سماعِ خطابي . .»

\*\*\*

وكذلك تتخذ المظالم منطقاً عذباً لتخفي ساءة الآراب



www.lisanarb.com

## الفهرس

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
٤٧	أغنية الأحزان	٧	ترجمة المؤلف
٥٢	المجد	١٣	من وراء الظلام
٥٢	سر مع الدهر	١٣	تونس الجميلة (مع التعاليق)
٥٣	الذكرى	١٤	من حديث الشيوخ
٥٥	مناجاة عصفور	١٤	خلة للموت
٥٧	الطفولة	١٥	الحياة
٥٨	قالت الأيام	١٥	نظرة في الحياة
٥٩	المساء الحزين	١٧	غرفة من يم
٦٢	بقايا الحريف	١٨	أنشودة الرعد
٦٤	أغنية الشاعر	١٩	في الظلام
٦٥	في فجاج الآلام	٢٠	مأتم الحب
٦٩	جدول الحب	٢٢	الكتابة المجهولة
٧٣	يارفيق	٢٥	أيها الليل
٧٦	إلى الموت	٢٩	شكوى اليتيم
٧٨	إلى عازف أعمى	٣١	الزنبقة الداوية
٨١	صوت تائه	٣٣	شعري
٨٣	نشيد الأسي	٣٥	يا شعر
٨٦	قلت للشعر	٤٢	زئير العاصفة
٨٨	يا ابن أمي	٤٣	إلى الطاغية
٨٩	أغاني التائه	٤٤	السامة
٩١	إلى قلبي التائه	٤٥	الحب
٩٣	أكثرت يا قلبي فماذا تروم	٤٥	أيها الحب
٩٥	ياموت	٤٦	الدموع

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
١٤٧	الجنة الضائعة	٩٨	إلى الله
١٥١	السعادة	١٠٢	النبي المجهول
١٥٢	من أغاني الرعاة	١٠٦	صفحة من كتاب الدموع
١٥٥	أيتها الحاملة بين العواصف	١٠٨	شجون
١٥٦	الأبد الصغير	١٠٩	إلى عذارى أفروديت
١٥٨	صوت من السماء		١ - الجمال للذئب
١٥٩	الصباح الجديد		١ - طريق الهاوية
١٦٢	ذكرى صباح	١١٢	الأشواق التائهة
١٦٤	الرواية القرية	١١٤	أحلام شاعر
١٦٥	ألحاني السكري	١١٥	قيود الأحلام
١٦٧	إرادة الحياة	١١٦	؟
١٧١	تحت الغصون	١١٧	أنا أبكيك للحب
١٧٥	إلى الشعب	١١٨	أبناء الشيطان
١٧٨	الناس	١١٩	سر النهوض
١٧٩	نشيد الجبار	١٢١	صاوات في هيكل الحب
١٨١	زوبعة في ظلال	١٢٥	أراك
١٨٢	الاعتراف	١٢٦	رثاء فجر
١٨٢	حرم الأمومة	١٢٧	فكرة الفنان
١٨٣	قلب الشاعر	١٢٩	قلب الأم
١٨٤	الدنيا الميتة	١٣٤	حديث المقبرة
١٨٥	إلى طغاة العالم	١٤١	في ظل وادي الموت
١٨٦	شكوى ضائعة	١٤٤	الساحرة
١٨٨	الغاب	١٤٦	قال قلبي للاله
١٩٢	فلسفة الثعبان المقدس	١٤٦	متاعب المعظمة

